صورة الغلاف



من مات ولم يغز
ولم يحدث نفسه بالغزو
مات على شعبة من النفاق
« حديث شريف »

الوعي الاسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

العدد الثلاثون ـ السنة الثالثة

غرة جمادى الآخرة سنة ١٣٨٧ هـ
٥ سبتمبر (أيلول) ١٩٦٧ م

تصدرها وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية
بالكويت في غرة كل شهر عربي

هدفها : المزيد من الوعي ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسية

الثمن

الكويت	٥٠	فلسا
السعودية	١	ريال
العراق	٧٥	فلسا
الأردن	٥٠	فلسا
ليبيا	١٠	قروش
الخليج العربي	١	روبية
اليمن وعدن	٧٥	فلسا
لبنان وسوريا	٥٠	قرشا
مصر والسودان	٤٠	مليما

الاشتراك السنوي للهيآت فقط

في الكويت ١ دينار
في الخليج ٢ ديناران
(أو ما يعادلهما بالاسترليني)
أما الافراد فيشتركون رأسا
مع متعهد التوزيع كل في قطره

عنوان المراسلات :
مدير ادارة الدعوة والارشاد
وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية
ص. ب ١٣ هاتف ٢٢٠٨٨
الكويت

بسم الله الرحمن الرحيم

أخي القارئ

بعض الآباء يحرصون على تجنيب أولادهم الاختلاط بأمثالهم ، ويصحبونهم معهم دائما ، خوفا من عدوى هذا الاختلاط ، وهذا الاتجاه فى التربية قد تكون له بعض الفوائد ، لكنه فى النهاية يعزل الأولاد عزلا تاما عن مجتمعهم الذى خلقوا له ، ويحول بينهم وبين معرفة الحياة ، حلوها ومرها ، صحيحها وسقيمها ، فينشئون جاهلين بتيار الحياة الذى يعيشون فيه ، ويقعون فى كثير من «المطبات» والمشاكل ، نتيجة جهلهم ، وعدم المامهم بأحوال مجتمعهم ، وهذا قد يؤدى فى النهاية الى أن يعيشوا معقدين انعزاليين ، لشعورهم بالهزيمة أمام خضم الحياة حولهم ..

وليس معنى هذا أننا نترك لأولادنا حبلهم على غاربهم ، يمارسون تجارب الحياة ، وهم لم يستعدوا تماما لها ، وليس لديهم القدرة على تجنب التيارات المؤذية منها .. لأنهم فى هذه الحالة يمرضون كذلك ، والخير دائما فى التوسط. فلا نعزل الأولاد عزلا تاما عن مجتمعهم .. ولا نلقى بهم فى تياره دون احتياط .. هذا أمر ندركه كلنا من واقع الحياة التى نشأنا فيها ، ومن ملاحظاتنا التى تكونت لدينا من التجارب التى مر بها غيرنا .

وأريد أن أنتقل معك من هذا الى أمر آخر ، أعتقد أن الدول العربية قد تلبست به ، وعاملت شعوبها كما يعامل الآباء الحريصون على تجنيب أولادهم عدوى الاختلاط ، ومعرفة الحياة !!

عاشت البلاد العربية عشرين عاما حتى الآن لم تعرف عن عدوها الرابض على قلبها شيئا ، اللهم الا ما تحبه بعض الصحف والاذاعات أحيانا من نشر أنباء أزمة اقتصادية ، أو وجود خلاف مزعوم بين الزعماء ، وأمثال هذا مما يقصد به تهوين أمره فى نظرنا .. حتى أنامت الصحف والاذاعات شعوبها ، كما ينام الأطفال على أحاديث الأمهات والجدات الخيالية ..

ثم صحونا جميعا على الواقع الذى أطاح بنا ، وتسربت الينا معلومات ، عرفنا منها كيف يعيش هذا الشعب الصغير ، وكيف يعمل وينتج ، وكيف يكرس كل وقت ، وكل فلس فى سبيل هدفه الذى نعرفه جميعا .. عشرون عاما قضوها مجندين كل طاقاتهم للعمل الجدى والانتاج ، فى كل مجال من مجالات الحياة ، وقد حرموا على أنفسهم كثيرا من مترف الحياة وكمالياتها ، فى سبيل ساعة يصطدمون فيها بالعرب من حولهم ..

وكان عجيبا من عجائب الحياة : أن يعمل اللصوص جادين ، ويسهروا ويكدحوا من أجل الاحتفاظ بما سرقوه ، واعادة الكرة ثانية ينهبون مايستطيعون.. وأصحاب الحق ، أصحاب الأرض .. أصحاب المال المسروق .. أصحاب الشرف المثلوم ، ينامون عما سرق منهم ، ويلهون ويترفون ، كأن شيئا لم يكن ؟..

لقد استفدنا كثيرا من الأنباء التى تسربت الينا مع الخارجين من الضفة الغربية ومن غزة ، عرفنا منهم كيف استولت الدهشة على الصهاينة وهم يرون السيارات الفاخرة موديل ٦٦ ، ٦٧ تملأ شوارع القدس !! وكيف كانت المجندة الاسرائيلية تقف مذهولة أمام ما تملكه المرأة العربية فى بيتها من الملابس والحلى وأدوات الزينة !! وكيف كان العجب يستولى عليهم ، وهم يرون الأثاث الفاخر الحديث يملأ البيوت ..

حرموا أنفسهم كل هذا الذى رأوه من أجل ساعة الصفر ، وما قيمة كل ذلك الذى حرصنا عليه ، وملأنا بيوتنا به ، بجانب لحظة من لحظات المرارة التى قاسيناها ؟. وما قيمة كل ذلك الذى حرموا أنفسهم المتعة به بجانب لحظة من لحظات الفرح والنشوة التى شعروا بها ؟.

لقد عرفنا أن هناك شعبا جادا ومسئولين يخططون وينفــذون .. حتى حققوا لأنفسهم ما يريدون .

وها نحن .. نحن المسلمين العرب ، نملك الكثير .. ولكننا نبعثره .. وكل فرد منصرف الى متعه ولذائذه وأهوائه الشخصية ..

نحن المسلمين العرب .. نفقد التخطيط والعمل .. ونفقد كذلك القدوة الحسنة ..

ثلاث عشرة دولة عربية .. كل دولة قادرة على أن تعمل ما تعمله اسرائيل وأكثر .. ولكن عنصر العمل الأساسى فيها مفقود مع الأسف . الشعور بالجدية والعمل المدروس الهادف ..

وبعد .. فهل نظل على جهلنا بعدونا ؟ ولمصلحة من هذا الجهل ؟ أؤكد أنه ليس للمصلحة العامة ، والا ، فهل يضر هذه المصلحة أن نعرف أن عدونا يجد ولا يهزل ، ويحرم نفسه الكماليات ، بل وبعض الضرورات الثانوية فى سبيل النصر ؟

هل يضر المصلحة العامة أن نعرف أن الضابط لا يرقى الى رتبة ملازم أول حتى يكون مظليا ؟.

هل يضر المصلحة العامة أن تعرف سيداتنا أن أمثالهن هناك لا يحرصن على الحلي و « الموديلات » ، والأحمر والأبيض كما يحرصن هنا ؟ وأن المرأة هناك جندية كاسرة ، لا تحتاج الى من يحميها ، ولكنها تحمى أطفالها ووطنها ؟!.

هل يضر المصلحة العامة أن نعرف أن كبارهم هناك يلتزمون بما ألزموا به الشعب ، فصاروا قدوة طيبة لهم ؟!.

هل يضر المصلحة أن نعرف أن عدونا حريص على الاستفادة من كل فلس يصل الى يده فى سبيل هدفه ، لا فى سبيل المظاهر الجوفاء ، والمتع والأهواء ، والأعمال المرتجلة ؟.

هل يضر المصلحة العامة أن نعرف كيف استطاع عدونا قهر الصحراء ، وتحويلها الى جنات فيحاء ؟

هل يضر المصلحة العامة أن نعرف كيف استطاع عدونا الوصول الى هذا الانتاج الصناعى الذى وصل اليه ؟.

وهل يضر المصلحة العامة أن نعرف أن كل جنـدى كان يحمل التوراة لا يفارقها ..؟

وهل .. وهل .؟
لا .. لا .. لا يضر المصلحة العامة أبدا .. فافتحوا لنا النوافذ ـ اذن ـ لنعرف عدونا على حقيقته ، بدلا من أن تتركونا نعيش فى هذا السراب الخداع .. حتى نموت .. نموت بأيدى أعدائنا .. ويا لها من نهاية .

جندوا المختصين منا فى كل ناحية من نواحى الحياة ، ليقدموا لنا المعلومات الصادقة عن عدونا .. ودعونا من قص صورة موسى ديان .. وأمثال هذا مما رأينا بعض الرقابات تحرص عليه .. افتحوا كل النوافذ على عدونا ، وسلطوا عليه الأضواء ، فذلك خير لنا من أن نعيش فى المجهول . افتحوا النوافذ الداخلية والخارجية ، لنعيش فى الأضواء ، ونبصر أمامنا الطريق ، دون ضباب أو خداع .

الحبشة مرة ثانية
****

نشرت بعض الصحف العربية خبرا عن المساعدات التى تقدمها الحبشة لاسرائيل ١٥٠٠٠ رأس من البقر ، مع نشاط ملحوظ في جمع التبرعات لها .. الخ ..

وقد علقت على ذلك جريدة الصباح التونسية منتقدة هذا الموقف من الحبشة وتساءلت : ((ما هى علاقة هـذا التأييد الظاهر لحكومة تقوم على أسـاس الاستعمار بميثاق الوحدة الافريقية الذى نشر للمرة الأولى فى البلد ذاته الذى يقدم مساعدات مادية لاسرائيل ..؟))

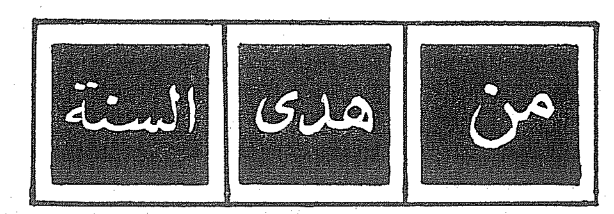
وقد كتبنا فى العدد الماضى عن حشد الحبشة لجيشها على حدود السودان ، وما يحمـله هذا الحشد من مغـزى فى الوقت الذى كانت الجيوش العربية مشتبكة فيه مع الجيش الاسرائيلى ، والذى تحركت فيه قوة سودانية الى ميدان القتال لنجدة أخوتها العرب .. بينما وقف مندوب الحبشة فى صف اسرائيل فى هيئة الأمم .. ليكشف العرب عن أعينهم الغطاء أو المنظار الملون ، ليروا الناس على حقيقتهم ، ولا ينخدعوا بمظاهرهم ، وليعلموا أن للمجاملة حدا تقف عنده ، وأنه لا يصح أن ننخدع حتى نجامل على حساب كياننا ، وكيان أخواننا المسلمين المضطهدين تحت حراب الحكم الحبشى ..

ذلك كلام أقوله لكل حكومة اسلامية ، ولكل صحيفة وهيئة اسلامية أينما تكون .. وضعيف وغير محترم ذلك الذى ينماع حتى لا يعرف للمجاملة حدا يقف عنده .. ولم نعد بعد الذى حدث نقبل التغاضى عما قدمته أو تقدمه بعض الدول لعدونا ، من عون مادي أو معنوى ، ليزداد شراسة علينا ، ويثبت أقدامه فى أرضنا ، ويتمادى فى العبث بمقدساتنا ..

نعم لم تعد الشعوب تقبل ذلك ، ولا تستسيغه ، والحكومات هى الناطقة بضمير الشعوب أو هكذا يجب أن تكون ..

عبد المنعم النمر

مدير ادارة الدعوة



الدعوة إلى الإيمان

للشيخ علي عبد المنعم عبد الحميد
المستشار الثقافى
لوزارة الأوقاف والشئون الاسلامية

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : نضر الله امرأ سمع مقالتى فوعاها فاداها كما سمعها .

(رواه الترمذى)

١ ــ العمد الاساسية فى حفظ الشريعة الاسلامية ، وصيانتها من التبديل والتحريف : الكتاب والسنة (١) : فهما المعينان اللذان لا ينضبان أبدا ، والركنان اللذان لا يسمو الى مكانتهما ولا يحل محلهما شيء آخر ، فاذا ورد النص في القرآن ، حاكما في قضية من القضايا فلا مجال لقول بعده ، وما أروع النص القرآني تفسره وتشرحه أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم (أوتيت القرآن ومثله معه) .

ومما انعم الله به على المسلمين (وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها) أن حفظ القرآن الكريم من الضياع ، وصانه من التبديل والتحريف اللذين حدثا للكتب السماوية السابقة فاستمر وسيستمر كما أنزل على خير خلق الله هدى ونورا لقوم يعلمون ، وقد دلت على ذلك آيات قرآنية محكمة واضحة المعنى ، بينة الدلالة ، لا تحتاج الى تأويل . منها : قول الله تبارك وتعالى : « انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون » وقوله جلت حكمته : (لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد) . وقد شرح (بالبناء للمجهول) هذا الكتاب العزيز وفسر في أغلب القرون التى مرت به ومر

(١) ويأتى بعد ذلك الاجماع والقياس .. الخ وباب الاجتهاد مفتوح لمن فتح الله عليه وبصره بعلوم الشريعة واللغة واستوفى الشرائط المتفق عليها عند جهابذة الفقهاء والباحثين وهي معروفة بتفاصيلها في بحوث قام بها متقدمون ومعاصرون ولا تكاد تختلف عند الفريقين .

هو بها ، وجال شراحه ومفسروه كل مجال ، ولا يزال .. فيما أعتقد — بحرا خضما زاخرا بالخير فى حاجة ماسة الى غواصين مهرة يستخرجون لآلئه ويعرضون للعالمين درره لينقشع ظلام الجهل عن عقول ران عليها مافعلت وماجترحت منسيئات، وأعتقد أن هذا العمل لا يقف عند حد ولا ينتهى لدى نقطة يوقف أمامها ، وما دامت الشمس تشرق وتغرب ، والقمر يبدو ويختفي والفلك يدور ويضطرب فى مجاله ، فلن يأتى يوم يقول عالم الى هنا يقف البحث فى القرآن ومدلولاته ، بل ان فيه من الآيات ذات الدلائل الخافية ما لا يصل الى فقه مرماها بشر (وما يعلم تأويله الا الله) وان كنت أعلم وقرأت طويلا وعالجت كثيرا ما أورده المتأخرون من بحوث ، وما داروا فيه من منطق حول معنى آية سورة آل عمران (١) الا أنى قوى الايمان بأن لله علما لا يصل اليه مخلوق : وما استأثر الله بعلمه ليس من صالح البشر ان يعلموه او على الاقل ليس مما تتوقف عليه أمور حياتهم فى مختلف مجالاتها فكل ما يفيدهم فى العاجل والآجل قد فسر وجاء واضحا لا لبس فيه ، ولا يحتاج الى اطالة فكر واعمال نظر .

٢ — ونعود الى السنة الشريفة — والقول اليوم فيها — واقصد منها هنا أقوال رسول الله صلى الله عليه وسلم وأفعاله — وتقريراته وهي التي عبر عنها القرآن الكريم بالحكمة في آيات كثيرة منها قول الله تبارك وتعالى فى سورة البقرة : من دعاء ابراهيم واسماعيل عليهما السلام : (ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب **والحكمة** ويزكيهم انك أنت العزيز الحكيم) (٢) والسنة تأتى فى المرتبة التالية للقرآن ذى الذكر ، وكثير من الأحكام أجمل فيه وفصل فيها ، بل منها ما لم يرد ذكره صريحا في القرآن ، ولولا السنة الشريفة ، ما عرف ولا فقهه الأولون ولا من جاء بعدهم . ولهذا كان لزاما على عقلاء المسلمين ، في كل عصر ومصر ، أن يديموا الحفاظ على السنة ، وقد قيض الله لها رجالا وعوها تمام الوعى ، متنا وسندا ، نصا وتأويلا ، وأدوها أمانة للأجيال التى تمر بالحياة من بعدهم وكان عملهم خالدا خلود السماوات والأرض ، وسيكون في موازينهم يوم القيامة نورا يقودهم الى دار الخلود في فراديس الجنان ، وفي القمة منهم الامام البخارى وهو أشهر من أن يدل عليه بقول وكذلك تلميذه الامام مسلم الذي كان كلما دخل عليه يسلم ويقول : (دعنى أقبل يديك يا طبيب الحديث ، ويا أستاذ الأستاذين ويا سيد المحدثين) . وكثير من الفقهاء حفظ لنا التاريخ ما جمعوا من أحاديث شريفة ومن هؤلاء الامام الصابر أحمد ابن حنبل ، ومن قبله فقيه المدينة الامام مالك رضى الله عنهم جميعا ، ولم يعد هناك جديد من نصوص الأحاديث زيادة على ما وعى السابقون ، وقد حث العلماء على اتقان قراءة الحديث خوفا من الدخول في قوله صلى الله عليه وسلم (من

---

(١) قوله تبارك وتعالى (هو الذى أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فأما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله الا الله والراسخون فى العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر الا أولوا الألباب) (الآية رقم ٧) .

(٢) الآية رقم (١٢٩) .

كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار) وقد قال الأصمعي عند شرح هذا الحديث : (أخوف ما أخافه على طالب العلم أن يلحن فيدخل تحت طائلة هذا الحديث) وهذا ورع من الأصمعي عظيم وفي الحديث الذي معنا (فوعاها فأداها كما سمعها) لأن الرسول الكريم لا ينطق عن الهوى ، ان هو الا وحي يوحى ، واقتصرت مهمة علماء الشريعة الآن على التبليغ ، على الوعي والأداء ، وليس التبليغ سهلا ، بل هو مهمة قاسية شاقة بالغة المشقة والاهمية وقد حث عليها القرآن في قول الله العليم الحكيم : (ومن أحسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا وقال انني من المسلمين) (١) وقوله تعالى (ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون) (٢) وقال سيد الخلق (ليبلغ الشاهد منكم الغائب فرب مبلغ أوعى من سامع) (٣) .

٣ ــ والعصور التى مرت الى الآن منذ بروز ذكاء الدعوة الاسلامية برز فيها مبلغون على اختلاف درجاتهم وأحوالهم ، ولا أظن أن عصرا يحتاج الى التبليغ كما هي حاجة عصرنا . فالناس عامة في كل مكان من البسيطة لا يعلمون الاسلام على حقيقته أبدا . اللهم الا الخواص وخواص الخواص.

ونظرة عجلى أو فاحصة على بلاد المسلمين نفسها التي بثت فيها تعاليم الاسلام وقامت في رحابها الدعوة أول ما قامت تظهر لك بما لا يقبل المزيد من القول أن عامة الناس ، وما الشعوب الا العامة ، لا يفقهون من الاسلام الا ما يتردد من أصداء الآذان كل يوم ، والا صلاة لا روح فيها ، وصياما تركه الاكثرون ، وزكاة أهملت ، وحجا لم يحقق المنافع المقصودة .. الخ . وهناك أقوام يطربون للترنم بالآيات دون سبر معناها وما تهدف اليه ، ومضحك جدا وشر المصائب ما يضحك ــ من أمر المسلمين أن تسمع القرآن يتلى طول يوم وفاة شخصية معروفة ، أما الدراسة المنظمة الواعية فقد عدا عليها الزمان فيما عدا عليه من أمور المسلمين (٤) اللهم الا ظلالا تتراءى هنا وهناك في شخصيات وعت قلوبها آيات الله والحكمة وهؤلاء ــ وحمدا لله ــ لا يخلو منهم زمان ولا مكان وان كانوا قلة نادرة اذا أحصوا .

وأكرر القول ــ بعدما لمست من قوة التنظيم ضد الاسلام خاصة والعرب عامة لدى بعض الاعداء وما أكثرهم اذا عدوا .. فارتباط العالم الآن بسرعة الصوت لم يدع شيئا خافيا على العالمين في كل مكان. فالمسافات مهما بعدت قد طويت ، وسلطت الأضواء على كل بقعة في المعمورة وعرف القاصي أحوال ما

---

(١) الآية ٣٣ من سورة فصلت (حم) .

(٢) الآية ١٠٤ من سورة آل عمران .

(٣) رواه البخارى ومسلم .

(٤) هذا حديث مؤلم لنفسى غاية الايلام ولن أتركه دون مزيد من القول ان كان فى الأجل بقية وهيأ الله المقام .

بعد عنه ، حتى أنه أصبح يراه رأي العين من وراء التلفاز بواسطة الاقمار الصناعية ، ويعلم الحوادث فور وقوعها ، لأنها تنقل حية تنبض بالحركات الأصيلة ، وسبحان من علم الانسان ما لم يعلم ، وهنا ، بات العالم الاسلامي مكشوفا لكل راء في الدنيا سميتها جديدة أوقديمة ، والكل مجمع — ان صدقا وان كذبا — على أن الاسلام لا يحمله مسمى موجود الآن .

٤ — لقيته طبيبا يسكن مكانا قصيا عن بلاد المسلمين ولم يرها رغم انه نيف على الخمسين عاما وجاب كثيرا من البقاع فسألته هل تعرف عن الاسلام شيئا؟ قال نعم وعن المسلمين أشياء . أما الاسلام فشيء كان يتعلم قديما ولم يعد له مجال في مجال المدنية الحديثة فانزوى هنا في دور العبادة في صورة شوهاء مزرية **ودليلي — كما يقول هو — ان العالم الاسلامي كما ترى مفكك متجاف منطو على نفسه نافر من كل جديد حريص على الظل لئلا يتبدد في ضوء الشمس ويذوب في حرارة القيظ ، أو يتجمد في صبارة الزمهرير .. فسألته : هل قرأت عن الاسلام شيئا؟ فاجاب مالي وللقراءة وكتاب الوجود الاسلامي مفتوح لكل مريد ، وبعد لأي ومزيد صبر مع الرجل اقنعته كي يقرأ كتابا ترجم حديثا الى اللغة الفرنسية والانجليزية وعاد بعد ثلاثة ايام ليقول : لقد اضعت علي رحلتي الترفيهية التي اقتطعت وقتها من عملي ، وحملتني حملا على استيعاب الكتاب في ترجمته ، قلت ثم ماذا ؟ اجاب : اقتناع تام بان الظل لا يمثل الصورة الأصيلة بحال بل هما نقيضان لا يجتمعان ولا يرتفعان ، الاسلام نعم هو ان كان ما في هذا الكتاب ! وما درى صاحبي ان ما سطر في هذا الكتاب أو الكتيب لا يمثل الا ثمالة ضئيلة من حقائق الاسلام .**

هنا برز أمام عيني حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم (نضر الله امرا سمع مقالتي فوعاها فاداها كما سمعها) وتساءلت بعد طويل روية من يتحمل اثم ما غرق فيه المسلمون من البعد عن تعاليم السماء : واجاب (١) المسئولية التاريخية متجهة صوب كل مسلم فاقه لدينه ، مدرك لمراميه ، ملم باحكامه ، غائص على مزاياها ، عليه ان يبلغها — كما سمعها — بقوله وفعله حيثما وجد وأينما حل ومن استعان بالله أعانه !.

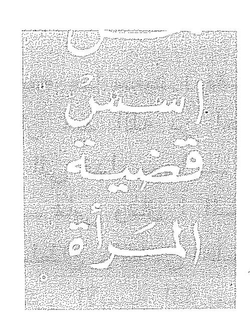
٥ — عرفت كثيرا من الدعاة في بلادنا ، وعرفت لهم أخلاقهم ، وعلمهم وواسع احاطتهم بمهمتهم ، وما بذلوا من جهود في سبيل الله ، وهؤلاء مضافا اليهم بعض كبار الاساتيذ الذين الفوا ونشروا بحوثهم قد ادوا ما عليهم أو بعض ما عليهم حيال الاسلام رغم ما وجدوا وما يجدون من عقبات وملاحقات جاهلة ، ومتابعات عمياء ! ولكن هيهات ان يجدي هذا الجداء الكافي حيث أنه اما محصور أو مقصور وفي الأمرين ضيق وعنت وظلام وغبن ، ومطلوب الاسلام لا يتوقف عند جهد داعية موظف ، أو مدرك غيور ، فما الحيلة ؟ ما الطريق ؟ ،

(١) ابن أخت خالتي على رأي القاضي العادل اياس بن معاوية .

لقد رسم الطريق أعداء الاسلام — واعدى أعداء الاسلام في الحقيقة . ان بحثت ورمت الحق ، هو الجهل والجهل به فقط ولا تزيد . فالناس فى مجموعهم عقلاء والعاقل ضالته الحق حيثما وجده ، ومن أصر على حق واعتقده نجح فى الوصول الى هدفه ، والطريق المرسوم ، لا يقف عند مطالبة الحكومات بالدعوة ونشرها ، وانما نرجو من الحكومات التعضيد المعنوى ايضا كما تفعل سائر الدول غير المسلمة ، وأما العمل الجاد فعلى اغنياء المسلمين وفقرائهم أن يساهموا في الدعوة بأموالهم وجاههم : وأعرف جماعة فى بلد غربى نظمت (سنتا) واحدا على كل مشتر شيئا حقر أو جل يودع فى صندوق (الله) حسب تعبير القوم ، ومنذ السنت فصار ملايين الجنيهات الاسترلينية بنيت بها مشافي ومدارس في بلاد المسلمين وغير المسلمين ونجحت أو كادت هذا مع البحوث العميقة التي تظهر علاجا حاسما للمشاكل الاجتماعية والاقتصادية والعلاقات الدولية يصدر هذا من علماء مخلصين ، وأخشى ، والله ، وأستحى من الله ذى الفضل العظيم أن اقول : أين أبو حنيفة ؟ والغزالي ، وابن سينا ، وابن تيمية ومن الى هؤلاء ممن بحثوا دون أن يسألوا واذا اعطوا ابوا ، وما موقف ابن حنبل من ابنه عنا ببعيد (فقد حدث التاريخ ان عبد الله بن احمد ابن حنبل دعاه الى غداء يوما — أى دعا الابن أباه — فأبى وقال : انك تقبل هدايا السلطان وأخشى على ديني منها) وأكرر الآية الكريمة (انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون) فلا يأس يا رب وانما هى شكوى اليك وطلب معونة منك وما ذلك على الله بعزيز .

٦ — بقى شيء أخير فى هذا الدور من القول — هو أن يحاول المسئولون الذين يشغلون وظائف في الخدمة العامة أن يجعلوا سلوكهم وفق تعاليم دينهم ، حتى لا يرى العالم الانفصام البادى بين حقيقة المكتوب وزيف العمل والقدوة العملية دائما خير من ألف كتاب (والعدد هنا لا مفهوم له) .

وقبل أن أختم هذا الحديث أقترح على وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية أن تجعل في كل عدد من مجلتها الفتية القوية الناشئة صفحتين أو ثلاثة على الأقل باللغة الفرنسية والانجليزية ، وترسلها الى كل سفارة كويتية في البلاد الناطقة بهاتين اللغتين شارحة مشكلة عويصة من مشاكل العصر على ضوء الاسلام ، وموجهة توجيها خفيفا أي سهلا في عبارته (للعامة) الى تعاليم الاسلام ، وليس ذلك على همة القائمين على الوزارة بعزيز والله الموفق والمستعان .



الاسلام والوضع الاجتماعي للمرأة

– ١ –

قدمنا من قضايا المرأة الأساسية ، مساواتها للرجل فى المعنى الانسانى ، والنسب البشرى الذى ينتمى الجميع فيه لأب واحد وأم واحدة ، وقدمنا أهليتها للتكاليف الشرعية .. وأهليتها الاقتصادية التى تشمل التملك بجميع ضروبه ووسائله ، والتصرف فيما تملك بكل أنواع التصرف ، مع تقرير مساواتها التامة للرجل فى كل ذلك .. وقد يرى بعض الباحثين ذلك تقدمية سبق بها الاسلام زمنها بقرون كثيرة ، وقد يراه بعض السطحيين مجرد تقريرات لم يزد فيها الاسلام على أن ساير ما بلغته المرأة فى هذا العصر – ولا سيما الغربية – من الاعتراف بانسانيتها وأهليتها ، فهو مجرد « تحصيل ما حصل » ..

والحق أن الاسلام حين نزل بتلك الأحكام منذ أربعة عشر قرنا لم ينظر قط الى ما ستبلغه المرأة من تطور فعمل على أن يجىء على مثاله ليكون تقدميا أو غير تقدمي فى نظر المعجبين أو غير المعجبين ، بل نزل يقرر الوضع الحق لفطرة المرأة التى برأها الله عليها ، أو نزل يقرر – بلغة المهندسين – « التصميم » الذى سوى عليه كيان المرأة الروحي والحسي ، فلا يصلح أن يقدر مكانها فى أى شأن من شؤون الحياة فى أى عصر وأى بيئة الا عليه .. فهى انسان يجب أن يعترف لها بانسانيتها فى الأسرة .. والدين .. وفى الاقتصاد .. وفى المجتمع . وفى مقابل ذلك يجب أن تؤدى حقه أو واجبه عليها ، وترعاه حق رعايته ، فليست « الانسانية » و « الأهلية » مجرد حلية سطحية عاطلة من التكاليف تتباهى بها المرأة فى مجال التقدمية ، انما هى « خصائص » من تقويم الله لكيانها المعنوى ، أهلت بها لتؤدى دورا أو مهمة فى الحياة تلائمها ، فاذا قصرت فقد قصرت فى حق نفسها ، وحق مجتمعها لا فى حق الله والشريعة فقط ، ويجب أن يكون وزنها فى التفاضل الاجتماعى مقدورا بمدى فهمها لمعانى تقويمها ، وجدها فى تزكيتها ، وتحقيق دورها فى الحياة ، والله تعالى يقول : «ان أكرمكم عند الله اتقاكم» . (١)

---

(١) الحجرات : (١٣)

للأستاذ : البهى الخولى

— ٢ —

وقبل أن نعرض لمعالم ذلك الدور نقرر لها أهليتها الاجتماعية استكمالا لما بدأنا من حديث تلك الأهلية ، فمن ذلك :

أ — **أنها اذا بلغت وظهرت عليها علامات الرشد وحسن التصرف ، زالت عنها ولاية وليها أو الوصى عليها** سواء أكان أبا ام غيره فيكون لها التصرف الكامل فى شؤونها المالية والشخصية ، واختيار المكان الذى تقيم فيه ؛ وليس لأحد من أوليائها أو أقربائها أن يجبرها على الاقامة عنده ما دامت ذات عقل وعفة . قال الشيخ احمد ابراهيم : « والأنثى اذا بلغت مبلغ النساء فان كانت بكرا شابة أو ثيبا غير مأمون عليها فلأبيها أو من يقوم مقامه من الأولياء والمحارم المأمونين عليها أن يحفظها عنده جبرا عنها ، وان كانت بكرا ودخلت فى السن واجتمع لها رأى وعفة ، أو ثيبا مأمونة على نفسها ، **فليس لأحد من أوليائها أن يجبرها على الاقامة عنده** » (١) ، فاذا تزوجت البكر أو الثيب سقط حقها فى اختيار مكان الاقامة لتعارضه مع حق الزوج الذى قدر له الشرع أن تتبعه زوجته فى السكن حيث يقيم ، وذلك لاعتبارات معلومة عادلة لا مجال لذكرها .

ب — **أن لها حقها فى قبول أو رفض من جاء يطلب يدها** ، ولا حق لوليها أن يجبرها على قبول من لا تريد ، ولا أن يمنعها أن تتزوج من رضيته من أهل الخلق والدين ، فذلك شأنها وحدها ، بل انه أخص خصائصها تتصرف فيه بالمعروف على ما ترى فيه استقرارها والفتها ، وفى هذا جاء قوله عليه الصلاة والسلام : « ليس للولى مع البنت أمر » (٢) وقوله : « البنت أحق بنفسها من وليها ، والبكر تستأذن فى نفسها ، واذنها صمتها » (٣) ، وقال ابن القيم فى تقرير ذلك فأبدع :

---

(١) ص ١٥٨ — الأحكام الشرعية للأحوال الشخصية للشيخ أحمد ابراهيم .

(٢) رواه أبو داود والنسائى .

(٣) رواه الجماعة الا البخارى .

« ان البالغة العاقلة الرشيدة لا يتصرف أبوها فى أقل شىء من مالها الا برضاها ، ولا يجبرها على اخراج اليسير منه بدون اذنها ، **فكيف يجوز أن يخرج نفسها منها بدون رضاها ؟! ومعلوم أن اخراج مالها كله بغير رضاها أسهل عليها من تزويجها بمن لا تختاره » (١)** .

فاذا أهدر وليها هذا الحق وزوجها وهى كارهة ، فهى بالخيار — ثيبا كانت أم بكرا — ان شاءت أمضت ما فعل وليها وان شاءت ردته ، وقد روى أن «خنساء بنت جذام زوجها ابوها وهى كارهة ، وكانت ثيبا ، فأتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فرد زواجها » (٢) .

بل ان لها **أن تباشر عقد الزواج بنفسها** ، قال فى الأحكام الشرعية : **« يشترط لنفاذ النكاح — أى عقد الزواج — أن يكون كل من الزوجين حرا ، بالغا عاقلا اذا باشرا العقد بانفسهما ، أو بوكيليهما ، أو باشره أحدهما مع وكيل الآخر »** (٣) وقال الفقيه العلامة الشيخ محمود شلتوت فى تقرير حق المرأة فى مباشرة عقد زواجها بنفسها : « ونحن اذا رجعنا الى القرآن فى هذه المسألة وجدناه يضيف هذا التصرف الى المرأة نفسها ، انظر قوله تعالى فى سورة الأحزاب : **« وامرأة مؤمنة ان وهبت نفسها للنبي ان أراد النبى أن يستنكحها خالصة لك من دون المؤمنين »** ويقول فى سورة البقرة **« فان طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره »** ويقول : **« فاذا بلغن أجلهن فلا جناح عليهن فيما فعلن فى أنفسهن من معروف »** وهذه الآيات ظاهرة فى أن زواج المرأة ورجوعها الى زوجها مضاف اليها صادر عنها ، من غير أن يتوقف على مباشرة وليها لهذه التصرفات . . وليس من المعقول ولا المعهود شرعا أن يستعير رضا انسان فى صحة تصرف ، ثم يحكم ببطلانه اذا ما باشره بنفسه . . ولا شك أن صحة التصرفات لا تستدعى أكثر من العقل والبلوغ وما دامت البكر كالثيب عاقلة بالغة فانا لا نكاد نفهم أنها اذا باشرت عقد الزواج يكون باطلا . . ولا شك أيضا فى أن مقاصد عقد الزواج يرجع معظمها الى المرأة ، ومن الاصول المقررة ان مثل هذا العقد يتولاه من يختص بمقاصده الأصلية » (٤) . . وهو تقرير يغنينا بروعته ووضوحه عن أى تعليق على ما بلغ الاسلام بأهلية المرأة من سمو واعتبار .

ج — ومن أبرز معالم تلك الأهلية مكانة لم تقرر للمرأة فى شريعة من الشرائع قديمة ولا حديثة ، وها هو ذا الغرب ممثل الحضارة القائمة ، وحامل لواء الدعوة لتحرير المرأة ، وتقرير حقوقها لم يبلغ بها تلك المكانة ، ذلك أن الاسلام **جعل لها أن تجير — أى تحمى — في الحرب أو السلم من أرادت من غير المسلمين** .

وقد جاء فى فتح مكة أن أم هانىء بنت أبى طالب — أخت على كرم الله وجهه — أجارت رجلا من المشركين ، فأبى على الا أن يقتله ، فأسرعت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت : يا رسول الله ، زعم ابن أمى على ابن

---

(١) زاد المعاد ح ٤ ص ٢ بتصرف .

(٢) رواه الشيخان .

(٣) الأحكام الشرعية للشيخ أحمد ابراهيم ص ٦ .

(٤) رسالة القرآن والمرأة .

أبى طالب أنه قاتل رجلا قد أجرته ــ وسمّت الرجل ــ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « قد أجرنا من أجرت يا أم هانىء » (١) . وقد جاء فى ذلك قوله عليه السلام : «يد المسلمين على من سواهم تتكافأ دماؤهم ، ويجير عليهم أدناهم» (٢). والمسلمون وصف جامع للرجل والمرأة فهى بداخله فى مفهوم قوله عليه السلام « يجير عليهم أدناهم » الى دلالة حديث أم هانىء السابق ، ودلالة قوله عليه السلام : « ان المرأة لتأخذ للقوم » (٣) قال صاحب المنتقى : « يعنى تجير على المسلمين » ، ودلالة حديث عائشة رضى الله عنها : « ان كانت المرأة لتجير على المؤمنين فيجوز » (٤) وقولها : « فيجوز » معناه أن يحترم فعلها فى تأمين أو اجارة من تريد ، ولا يخفره أحد أو ينقضه .

وذلك أمر من أخطر الامور ، بل لعله أخطرها وأولاها بالحذر والاحتياط ، فتقرير أهليتها وعدالتها فيه الى هذا المدى هو توكيد لثقة الاسلام المطلقة فى كفاية الخصائص العالية التى أهل بها تقويمها ، واعلان لكرامة مكانها فى الحياة بكرامة ما يناط اليها من تبعات .. واذا كان الغرب لم يبلغ ذلك المدى من الثقة بأهلية المرأة لتلك التبعات الخطيرة ، فلأنه هو نفسه لا يفترض فى الانسان ــ رجلا كان أم امرأة ــ استعدادا علويا تزكيه العقائد ، فلم يمد مجتمعاته لا رجالا ولا نساء لحمل الامانات والقيم والمبادىء التى يسلح بها الاسلام ذويه . ويعدهم لها أفرادا وجماعات فى نسق تتكافأ فيه الدماء ، اذ تزول فوارق النسب والمولد والمنازل الاجتماعية ، ولا يبقى الا العقيدة الصافية الصادقة قد انصهر الجميع فى بوتقتها ، وصاروا ارادة واحدة فى الاعتزاز بها ، والحياة لها ، والدفاع عنها بالمال والروح ، يتساوى فى ذلك أدناهم فى المجتمع منزلة وأعلاهم ، حتى يكون كيان كل فرد صغر أو كبر هو كيان الجماعة ، يعنيه من أمرها ما يعنيه من أمر نفسه .. وبهذه الارادة ، وبهذا الانصهار الروحى السامى تتم أهلية المرء وتكون المساواة فى المجتمع أتم ما تكون ، فلا يكون أحد منهم أولى بتأمين من يريد من الآخر ، فتأمينه ماض على الجميع ، والجميع يجيزونه له حبا وكرامة ..

ـ ٣ ـ

ذلك تقويم الاسلام لانسانية المرأة وأهليتها فى وصفها العام ، فهى (انسان) ولها (أهليتها) الدينية ، والاقتصادية ، والاجتماعية ، ويتحتم منطقيا أن يكون لتلك المواهب أو المزايا دورها فى الحياة ، فان المواهب عامة انما تمنح من الحق تعالى على قدر حكيم لتحقق فى الارض مقاصد مقدرة ، ولا تمنح عبثا أو جزافا أبدا ، فأولى أن تقدر تلك المزايا العليا لمهمة لها امتيازها فى شرف البواعث وربانية الغاية ، وقد فصل القرآن الكريم معالم تلك المهمة ، ولعل من أجمع نصوصه فى ذلك قوله تعالى : « والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض ، يأمرون بالمعروف ، وينهون عن المنكر ، ويقيمون الصلاة ، ويؤتون الزكاة ، ويطيعون الله ورسوله ، أولئك سيرحمهم الله ، ان الله عزيز حكيم » (٥) ، وهو نص يتطلب التحليل لبيان احاطته بكافة شؤون الحياة وأوضاعها .. وبعد أغواره فى الماسه بالحقائق

---

(١) متفق عليه .
(٢) رواه أحمد وأبو داود وابن ماجة .
(٣) رواه الترمذى .
(٤) رواه أبو داود والنسائى .
(٥) التوبة : ٧١ .

الروحية التى يقوم بها بناء كل من الفرد والمجتمع والقيم التى يجب أن يرعاها كل ، ولكن تقيدنا ببيان دور المرأة يحملنا على الاجتزاء بالعناصر الآتية لصلتها بذلك الدور وايضاحه . .

أ ــ انه يبين « خصائص » المجتمع المثالى ــ الذى يمثل حقيقة الاسلام ــ وما يقوم بين افراده من علاقات ، فهو ــ أى النص ــ لا ينظر الى الفرد معزولا عن المجتمع ، ولا الى المجتمع ضاربا صفحا عن الفرد ، بل ينظر الى «المقومات» الروحية الحقة التى تقوم أساسا فى بناء كل منهما . وهى الايمان بالله تعالى ، فتكون مقومات أحدهما هى نفس مقومات الآخر ، ذلك أن المجتمع « علاقات » تتألف مما فى قلوب الافراد وعقولهم من المعانى الاصلية ، والقيم والعقائد ، فاذا هى رابطة واصلة بينهم فكرا وعاطفة ، واذا هم مؤتلفون بها فى تناسق كالبنيان المشدود الاسر ، فاذا كان الايمان فى الاسلام محور شخصية الفرد ، أو هو ركيزة فرديته باعتباره وحدة بشرية ذات كيان مستقل ، **ومسؤولية خاصة** امام الله والمجتمع ، فانه باعتبار آخر يتضمن روابط الحب والتناصر الاجتماعى ، اذ هو ولاء لمثل أعلى واحد يتداعى فى ضمائر الجميع بمؤازرته والاعتزاز به ، وذلك واضح فى قوله « والمؤمنون والمؤمنــات بعضهم أولياء بعض » . . ففيه أن الايمان هو الوصف الذاتى الذى تتحدد به اولا شخصية كل فرد ــ رجلا كان أم امرأة ــ وان الولاء الذى بين المؤمنين والمؤمنات هو الولاء لقيم ذلك الايمان .

ب ــ ان المجتمع اذ ينعقد على الولاء لقيم الايمان يتقرر لأهله قاطبة منهاج عام له صفة الحق والواجب ، ينتظمهم فرادى وجماعة : « يأمرون بالمعروف ، وينهون عن المنكر ، ويقيمون الصلاة ، ويؤتون الزكاة ، ويطيعون الله ورسوله » ومراعاة للمقام وتقيدا ببيان دور المرأة نكتفى بأن نبرز جانبــا من معنى قوله تعالى : « يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر » فانه واضح فى ان الاسلام يضع صلاح المجتمع أمانة بين يدى كل مؤمن مستنير ، وكل مؤمنة مستنيرة ، ويجعل كلا منهما مسئولا عن ذلك ، لا يعفى المرأة ، ولا يستثنى الرجل ، لأنه ينظر الى وصف « الانسانية » لا الى ذكورة أو أنوثة . . وهو دور بالغ الخطورة يتكافأ مع خطورة ما اهلت به من مواهب ومزايا .

ج ــ ان قوله تعالى : « يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر » يمد مسئولية الافراد الى كل مقومات المجتمع ادارية وسياسية ، واقتصــادية واجتماعيــة وروحية ، ولا يستثنى واحدة من هذه ، وليس من يقول فى الاسلام بالسكوت على منكرات الحكم ، أو مشكلات الفقر ، أو مظالم الاستغلال ، أو مفاسد الجهل التى تقوض الاخلاق ونحوها من دعامات المجتمع . . وعلى المرأة واجبها فى ذلك كله ما استطاعت عن طريق المنظمات النيابية ونحوها فى الميدان السياسى ، أو طريق المنظمات الشعبية فى الميدان العام المترامى الاطراف . . وهذا يقتضيها أن تكون فى ثقافتها واهتمامها بالشؤون العامة على المستوى الذى تحسن به فهم تلك الشؤون ، ومتابعتها ــ فى بيئتها الخاصة أو العامة ــ ونقدها بتعرف ما فيها من خطأ وصواب ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يجعل هذا الاهتمام شــارة الدخول فى جماعة المسلمين بقوله : « من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم » (١) .

---

(١) رواه البيهقى فى شعب الايمان .

وشؤون المسلمين فى أذهان الناس تضيق وتتسع بحسب ثقافة كل منهم ، وسعة آفاقه العقلية ، واستعداده الخاص ، فمنهم من يهتم بالزراعة ، ومنهم من يهتم بالصناعة ، أو التجارة ، أو اصلاح أداة الحكم ، أو مشكلات الفقر ، والتعاون والثقافة ، والاخلاق والأسرة ، وترقية الشؤون الاجتماعية عامة .. ومنهم من يقتصر جهده فى ذلك على بيئته الخاصة ، ومنهم من يمتد الى ما وراءها .. وغنى عن البيان أن المرأة فى ذلك كله كالرجل ، وأن تعدد تلك الآفاق يرينا سعة الميدان الذى يمكن أن تؤدى فيه دورها العــام فى رعاية المجتمع والنهوض بمقوماته المختلفة ..

وليس من قصدنا بيان منهاج المرأة ، أو مفردات عملهــا ، فذلك يختلف باختلاف البيئات ، واختلاف العصور ، انما نقرر « طبيعة » دورها ، وتعــدد الوان النشاط التى يمكن أن تحققه فيها .. ولكن لا بد من التنبيه الى أمر جوهرى ينجلى به كثير من الغموض ، والتساؤلات ، وأسباب الحيرة والشك ، ذلك ان المرأة المسلمة الاولى لم تفش ميدانها على عماء ، أو ضيعة ، أو تفكك ، بل غشيته على اعداد وتخطيط واضح ، كان المجتمع يدعوها به الى أن تأخذ مكانها فى الصف المتماسك المتعاون على قيمه ومصالحه ومصيره كله المعنوى والحسى .. فلم تكن دخيلة عليه .. ولا معفاة منه .. ولا وحيدة فيه ، أو معدومة النصير .. وهذا يستحضر فى أذهاننا الفارق الكبير بين ظروف تلك المسلمة الاولى ، وظروف المسلمة المعاصرة ، وهو فارق فى الاعداد خطط لها عقائدها ، وقيمها التى تغنى بها النفس ، وتقوم لها غاية فى الحياة ، وهيأ فكرها ووجدانها لذلك فى أصالة وعمق وقصد جدى .. وبهذا التخطيط والاعداد لم تغب قط بفكرها ووجدانها عن الاهتمام بشؤون المجتمع ، ولعلها المرأة الوحيدة فى تاريخ الدنيا التى كان اهتمامها بالشؤون العامة لا يقل — ان لم يزد — عن اهتمامها بشؤونها الخاصة ، وهو اهتمام مشاركة واندماج تجاوبت به مع ما كان ينزل به الوحى من شؤون الدنيا والدين .. والاسرة والمجتمع .. والحرب والسلم .. وقيم الروح والحس .. ولا يستطيع أشد الناس جحودا أن ينكر شــجاعتها واريحيتها فى ظروف الحرب ، اذ كانت تقدم رجلها والشباب من فلذات كبدها فى احتساب وفداء ، ومعهم ما تستطيع من حلى ومال ، وهى من وراء ذلك تخدم الجيش ، وتؤدى له مهمة الهلال الاحمر ، فى الاسعاف والتمريض والمداواة للجرحى .. فاذا كانت المرأة المسلمة اليوم فى حيرة من أمر واجبها : أين مكانه ؟ وماذا تفعل ؟ فمرجع الحيرة ذلك الفارق الذى لا تجد به ما كانت تجده السابقة من اعداد وتخطيط أصيل عميق لحقائق الايمان باعتبارها حقيقة وجود المرء ، وباعتبارها القيمــة العليا التى تتعلق بها الهمم وتستحث اليها الجهود .

واذا كانت جادة فى تبين مكانها فى الوجود فلتدع تقليد أختها الغربية فى طلب المساواة المطلقة بالرجل ونحوها من الحقوق التى لا تتبين لها جذورا ، ولا تستشعر لها مكانا فى وجدانها ، ولتنظر فى جد لتدارك الفارق الذى بعد بها عن أهداف جدتها السابقة ، ومقوماتها الروحية ، ليكون لها مثل وجدانها واندماجها فى شؤون المجتمع العامة ، ويومئذ لا تنازل الرجل فى ميدان تقاضى الحقوق ، بل تغني عن نفسها في مسابقته الي ميدان الواجبات .

الإسلام

كان ذلك قبل أعوام ثلاثة .

الثلج يكسو باريس بحلة بيضاء مغبرة ، والبرد تصطك منه نأمات الحياة ، ويلسع بسياطه الناس فى الشوارع فيجرون جريا ..

وفى دار صديق ، جلسنا حول الموقد ، نستلذ أريج القهوة ، ونحن نتجاذب شجون السياسة . ولطائف الدعابة والشعر ..

لم ننتبه للوقت يتسرب ، فقد طوى ترسلنا الاخوى ، ساعات الليل ، فبانت أقصر مما كانت .. وفجأة ، أخذت تشق عنان السماء ، مزامير سيارات ، فى تزايد مستمر ..!! انها ليلة رأس السنة الميلادية ، وقد قاربت الانتصاف .

وخرجنا .. نشد معاطفنا بقوة ، على ما اكتنزناه من دفء ، كأننا نخاف أن تسترقه منا لفحات شتاء باريس القارس .. ولم نستطع أن نمشى طويلا ، فقد كانت السيارات تملأ مد النظر ، وتتشعب من الساحات العامة ، فى المنعطفات ، وكأنها قطعان ذئاب فى فلاة ، أضرّ بها الجوع والصقيع ، فأخذت ترسل فى الفضاء عواء مجنونا ..

واستطعنا بعد جهد ، أن نصل الى مقهى كبير فى ساحة « الحقول المتعاشقة » « الشانزلزيه » ، وأن نتخذ أماكننا محشورين بين الناس قبل أن تطفأ الأنوار بدقيقتين ..

فى الظلام .. ترامت الى سمعى تمتمات عربية ، فى قلب الغوغاء المشوشة ، والقهقهات السكرى الشرود ..

تبينت بين جيرانى ، مصدر التمتمات ، فى الاضواء التى فجأت عيون الناس المحمرة ، فقابلوها بصياح هائج ، رج المقهى من جديد ، بعد أن كانت السيارات قد صمتت منذ قليل .

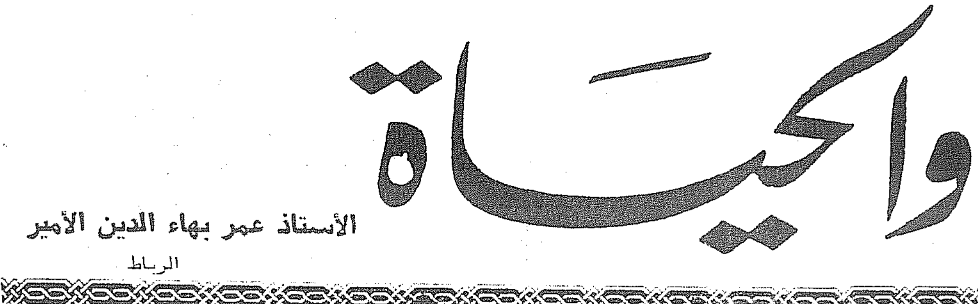
أربعة ، أخذوا يتحدثون بالعربية ، بصوت مرتفع .

ــ ما أجمل هذا الصخب فى باريس ، انها وقدة الحياة ، يا لبلادة الفراغ فى أوطاننا ، انهم الآن يغطون فى سبات عميق .

ــ طبعا ، موتى ، فى أكفان التقاليد البالية .

قال الثالث مغيظا ، وماذا أيضا ؟.

فأجاب رابعهم : لا تغضب يا « عمار » ، انه « أفيون الشعوب » الدين الذى ما زلنا فى أسره ..



الأستاذ عمر بهاء الدين الأمير

الرباط

وكنا نتحدث بالعربية أيضا ، وتبين جيراننا ذلك ، فكانت فترة ، وتلاقت العيون ، ومالت الرؤوس ، تلقائيا ، بالتحية . .

انهم طلاب من كليات عدة ، وأقطار مختلفة ، ومشارب شتى ، جمعتهم وحدة الدين واللغة — دون أن يقدروا ذلك — لتخرج بهم من ضيق الغربة الى سعة السمر المشترك .

قال « عمار » : فلنجمع طاولتينا ، ونتحلق لنشترك فى الحديث — اذا شئتم — وقرأت فى نفسه شعورا مزيجا من العزم والامل . . العزم على أن يتابع معركته الفكرية ولو منفردا ، تجاه عدد أكبر من المجادلين . والأمل فى أن يجد بيننا من يشد أزره .

قال : ما رأيكم فى الدين ، وفى الاسلام خاصة ؟ أحقا هو « أفيون الشعوب » كما يراه الزملاء ؟ . وتعجبون بما نحن فى وسطه من هرج ومرج ، يسمونه الحياة ، ويتغنون به ؟ .

واكرم الشباب أعمارنا ، فسكتوا يترقبون الجواب ؟

قال صديقى ، هذا ضجيج هادر ، وحركة دائبة .

بادر « عمار » . ضجيج هادر مهدور ، وحركة دائبة ، دائبة . . . من حصيلة الخير التى تجنيها الانسانية من هذا الصخب والعربدة ؟ .

صاح رفاقه ، لا تستعجل يا عمار ، حاولا التأثير على الاساتذة لتجعلهم تشارك فى الرأى .

تابع صديقى ، كلا ، فانا مع السيد « عمار » بان هذا ليس هو الحياة الحقة ، ولنقل بالتخصيص انه ليس بالحياة كما يفهمها الاسلام

وتمتم أحد الطلبة ، وهل فى الاسلام حياة ؟ أو فى أى دين آخر ، انها التواكل والخضوع للقضاء والقدر ، وعيش القرون الخوالى ، على البدائية الاولى .

قلت : تعددت مواضيعكم ، الحياة ، الاسلام ، أى دين آخر ، التواكل ، القضاء والقدر ، التقاليد والبدائية . . هذه عناوين ، لكل موضوعه ومجالات بحثه ، فاختاروا احدها للمناقشة .

تداخلت الاجابات والتعليقات ، واستقر الرأى ، فلنتحدث عن الحياة .

قال عمار : بل الاسلام والحياة .

سكوت . . قلت ، حسنا ، تحدث يا عمار ، فابتدر رفاقه ، سمعنا حديثه مرارا ، نريد أن نسمع منكم .

كانت أفواج متلاحقة من الرواد تزحم المقهى أكثر فاكثر ، فتزيد جوه

اختناقا ، وتملأ ضوضاءه دخانا . . فقال صديقي : بيتي على مقربة مئة متر ، فهيا اليه ، حيث تسكن أسماعنا للحديث وقد جد ، ونستطيع الاصغاء والبحث . .

قلت ونحن نسير : الاسلام والحياة ، موضوع يحتاج الى مؤلف ، فالحياة مفاهيم واسعة ، وقد تحدث عنها القرآن فى أكثر من خمسين سورة ، وأذكر أن لفظة الحياة ومشتقاتها وردت فى كتاب الله أكثر من مئة وستين مرة . ومن أسماء الله الحسنى « الحى » وكل هذا دليل على عناية الاسلام الفائقة بالحياة .

وجلسنا ، والحديث يدور . . سألونى : فى أى المقاصد والمعانى ، استعملت الحياة فى القرآن ؟.

قلت : بالتأمل السريع ، يمكن أن نرد ذلك الى ثمانية أمهات .

أولها : ما يتعلق بالذات الالهية .

« الله لا اله الا هو الحى القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم »

« وعنت الوجوه للحى القيوم وقد خاب من حمل ظلما »

« وتوكل على الحى الذى لا يموت » .

« هو الحى لا اله الا هو فادعوه مخلصين له الدين » .

وثانيها : وهو اشتقاق من الأول ، ما جاء فى مجالات الاعتبار بالقدرة والعمل الالهيين . وهو :

« الذى يحيى ويميت وله اختلاف الليل والنهار » .

« أليس ذلك بقادر على أن يحيى الموتى »

« وضرب لنا مثلا ونسى خلقه قال من يحيى العظام وهى رميم ؟. قل يحييها الذى أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم » .

وثالثها : فى الحياة أصلا ، وانبعاثا ، ومصيرا . .

« وجعلنا من الماء كل شيء حى » . .

« وينزل من السماء ماء فيحيى به الارض بعد موتها » .

« وان الدار الآخرة لهى الحيوان لو كانوا يعلمون »

ورابعها : وقد يكون اشتقاقا من سابقه أيضا ، ما يتعلق بالطبيعة فى أطوارها وانتشارها .

« يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى » . .

« فانظر الى آثار رحمة الله كيف يحيى الارض بعد موتها »

وخامسها : فى مجالات ضرب المثل وتقرير الحكمة .

« وما يستوى الأحياء والاموات » .

« ألم نجعل الارض كفاتا . أحياء وأمواتا »

« ولكم فى القصاص حياة يا أولى الألباب لعلكم تتقون » .

وكانوا يصغون الى آيات الله ، أسرد بعضها فى تذكر ، وأناة لا أتقصاها ، ولا أسلسلها ، ولا أعلق عليها بأى شرح ، قال أحدهم ، وماذا عن الانسان والحياة ؟

قلت : من ذلك فيما سلف قسط ، وقد بحث القرآن تفصيل ذلك فى الثلاثة الباقية .

فأولا . تقلب المرء بين الموت والحياة فى الدنيا والآخرة على أطوار ، تقريرا للحق ، وحكاية للمعتقدات وبيانا لأحوال الناس ، عيشا وثوابا وعقابا .

« وما الحياة الدنيا الا لعب ولهو وللدار الآخرة خير للذين يتقون أفلا تعقلون » « فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون » « وقالوا ما هى الا حياتنا الدنيا »

« الله الذى خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم »

« الذين يستحبون الحياة الدنيا على الآخرة ويصدون عن سبيل الله

ويبغونها عوجا أولئك فى ضلال بعيد» «ويوم يعرض الذين كفروا على النار أذهبتم طيباتكم فى حياتكم الدنيا واستمعتم بهـا فاليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تستكبرون فى الارض بغير الحق وبما كنتم تفسقون » .

ثانيا : وهو ركن فى بحثنا ، حقيقة الحياة الدنيا وهداية البشر فيها ، ومد نظرهم الى الحياة الآخرة سعيا ورجاء وجزاء .

« اعلموا انمـا الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفـاخر بينكم وتكاثر فى الأموال والأولاد » . .

« انما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض مما يأكل الناس والأنعام حتى اذا أخذت الارض زخرفهـا وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلا أو نهـارا فجعلناها حصيدا كأن لم تغن بالأمس كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون » .

« زين للذين كفروا الحيـاة الدنيـا ويسخرون من الذين آمنوا والذين اتقوا فوقهم يوم القيامة » .

« فما أوتيتم من شيء فمتاع الحيـاة الدنيا وما عند الله خير وأبقى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون » .

« ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحيـاة الدنيـا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى » .

« يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم » .

ثالثا وأخيرا . فى أولئك الذين يلقون وجه الله وهم يجاهدون فى سبيله ، استجابة لأمره ، وهو ما يتعلق بحياة الشهداء .

« ولا تقولوا لمن يقتل فى سبيل الله أموات بل أحياء ولكن لا تشعرون » .

« ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون »

قلت للاخوة الطلاب : هذا ، وسواه كثير ، مما وردت فيه « الحياة » بلفظها أو مشتقاتها خلال آيات القرآن الكريم ، أما معانيها ومرادفاتها ومدلولاتها فتكاد تكون فى القرآن جميعا ، حتى أن الانسان ليقول . الاسلام هو الحياة والحياة هى الاسلام . .

علق أحد الطلاب : آيات مرت علينا جميعا ، نتلوها للتبرك ، ونستمعها للتلذذ ولكنها المرة الاولى بالنسبة الى ، أنظر فيها مجتمعة بتفكر وتدبر وتضيف ، وأنها لتلقى على حيرتى فى الحياة كثيرا من الاضواء .

سأل عمار : متى كان آخر عهدك بالقرآن ؟ قال : تلاوة ، منذ أربع سنين فى آخر رمضان أمضيته فى الوطن ، أما استماعا فأحيانا فى الاذاعات .

وأردف رفيقه فى تذكر وخجل . انها سبعة أعوام لم أقرأ خلالها القرآن .

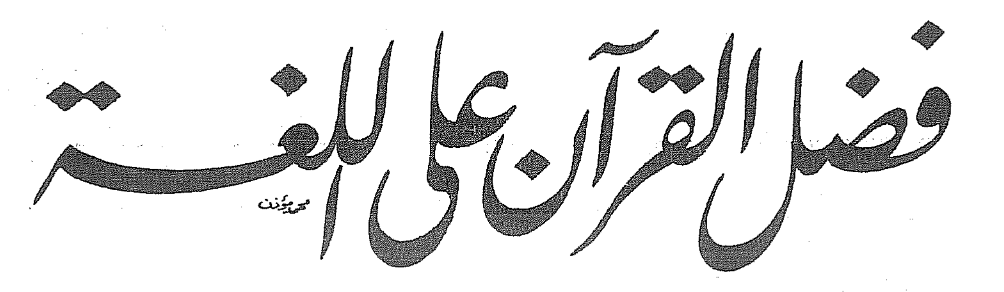
علق عمار سبع عجاف ، لا بركة فيها . يا ويحنا ان الرسول ليشكونا الى ربه : يا رب ان قومى اتخذوا هذا القرآن مهجورا . . ودمعت أعين فى تحسر وندم . .

قلت : أيها الاصدقاء ، ليس الغرض من القرآن مجرد التلاوة والاستماع .

قال : بل الادراك والتفهم .

ــ لا ليس هذا فحسب . فعن أبى وائل عن ابن مسعود قال : كان الرجل منا اذا تعلم عشر آيات لم يجاوزهن حتى يعرف معانيهن ، والعمل بهن ، وقال أبو عبد الرحمن ، حدثنا الذين كانوا يقرئوننا ، انهم كانوا يستقرئون من النبى صلى الله عليه وسلم وكانوا اذا تعلموا عشر آيات ، لم يخلفوها حتى يعملوا بما فيها من العمل ، فتعلمنا القرآن والعمل جميعا .

نظرت الى الساعة ، فقام صديقى الى مكتبته وعاد بكتاب ، وقال : تعالوا نختم جلستنا مع القرآن الكريم ، وناول عمـارا المصحف فأخذ يقرأ باعتزاز من أعماق قلبه : (البقيـة ص ٢٧)



بينا فى بحثنا السابق أنه اذا قويت صلتنا بالقرآن ، وجدنا فيه مع انتظام المبادىء الكريمة ، والمعانى القيمة ، ضبطا لأصول اللغة العربية وقواعدها ، وسجلا لروائع البلاغة وقمتها .

وقلنا ان دراسة كتب الأدب الأمهات ، والتبصر فى دواوين الفحول من الشعراء ، ليس هو الغاية التى يتوخاها الاديب العظيم ، فوراء ذلك ما تتقاصر دونه الأعناق من بلاغة القرآن ولغته العلوية ، وأول فضل لهذه البلاغة التى تتمثل فى كتاب الله أنها دائمة الاشراق فى لغة العرب .

ونعود اليوم فى بحثنا هذا الى تجلية فضل القرآن على اللغة العربية :

لقد حفظ القرآن المجيد لغة العرب من الضياع ، وأن تذهب فى الاسماع بددا ، وكفل لها الجدة وان طال الزمن .

ذلك أن القرآن جعل العربية لغة الدين ، باحيائها احياؤه ، فهى أصداف هذه اللآلىء .

« (١) ومما هو جدير بالملاحظة أنه ليست هناك لغة واحدة من لغات الدنيا — ما عدا لغة الحجاز — يتكلم بها الآن فى الصورة التى كان عليها حين أرسل بها رسولها (٢) . حتى الكتب المقدسة الاخرى لو ظلت باقية محفوظة فى لغاتها الاصلية ، لتعذر علينا أن ندرك حق الادراك مرامى آياتها ، ومغازي تعاليمها التى كانت تقصد منها حين الوحى بها ، وبعبارة موجزة ، اننا لا نستطيع أن نقرأ مقاصد أولئك الرسل على ضوء اختلاف الاسلوب ، وتباين التعبير » .

أما القرآن الكريم فقد أنزل فى لغة لا تزال الى الآن حية . وظل هو محفوظا من كل تبديل وتغيير ، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، بهذا كانت مقاصده مدركة حتى يومنا هذا فى هذه الصورة التى وجدت عليها حين أوحى بهذا القرآن الكريم ، الى الرسول الكريم ، قال تعالى : « انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون » .

فانظر هل تجد أهل لغة من اللغات يحفظون من جيدها عن ظهر قلب بمقدار القرآن ، وبمقدار ما يحفظ المسلمون من اللغة العربية لأجله ؟

---

(١) انظر كتاب مقدمة لدراسة القرآن الكريم .

(٢) هذه مبالغة لا تخفى على القارىء فان الفصحى قد فسدت بمخالطة الاعاجم حتى فى البادية ، وذلك بالطبع فى لغة التخاطب ، اللهم الا اذا أراد أنها يكتب بها الآن على نحو ما كانت عليه حينئذ .



للدكتور محمد كامل الفقى

الاستاذ بكلية اللغة ـ جامعة الازهر

نقب فى البلاد وتوغل فى مجاهلها وانظر تجد القرآن محفوظا فى رءوس الجبال وبطون الاودية ، وسحيق الصحارى ، وبين الغابات ومضال الفلوات ، وكما تراه فى الاكواخ الحقيرة ، تبصره فى القصور المشيدة . وكما تجده فى لسان الصغير ، تجده فى لسان الشيخ الكبير .

لذلك عاشت بفضله اللغة العربية أيام الدول الاعجمية الاسلامية محفوظة ، بل تغلبت بما لها من السلطان على كثير من الاعاجم ، وحلت من ألسنتهم محل لغاتهم الأولى ، وأصبح كثير من سلاطينهم معدودا فى مصاف الشعراء والادباء » .

وكان من تأثر العرب بأسلوب القرآن ، أن انطبعت فى لغتهم العذوبة والسلاسة ، والفصاحة والجزالة ، فانه خالط قلوبا قاسية فألانها . وطباعا جاسية فهذبها ، وأحلاما طافية فأقرها ، وعاد ذلك على اللغة العربية عذوبة لفظ ، ورقة أسلوب ، وسماحة تركيب ، وقوة حجة ، ورزانة منطق ، ودقة أداء ، وغزارة معنى .

وقد نزل القرآن بلغة قريش وهى أفصح لهجات العرب وأسلمها . بل هى ذروتها وسنامها . وكانت قبل أن يهبط القرآن على فؤاد الكون ، لغة الأدب ، يتفيأها الشعراء ويتغنى على قيثارتها الادباء والخطباء .

وكان مثوى قريش أرض الحجاز ، مغدى العرب ومراحهم ، وقبلة الحجيج والتجار ، يتوافد على قريش أعلام العرب وأشرافهم ، من كل حكيم أو شاعر أو خطيب أو ذى دعوة ، فتعمر النوادى ، وتصخب الاسواق ، وتهتز المنابر ، بروائع القول وآياته ، ويرسل المحكمون حكمتهم العليا التى تتهم وتنجد ، وترفع أو تضع ، ذلك في عكاظ ومجنة وذى المجاز ، وسارت المواسم الأدبية سنة متبعة بعد الاسلام ، وفى هذه الاسواق رفع رسول الله صلى الله عليه وسلم صوته بالدعوة المباركة ، وشق سمع الغافلين ، وتفتحت له قلوب الأبرار ، وكان حريصا كل الحرص على أن يغشى هذه المواسم ليتخرج فى مدرستها أجناد الاسلام وحماته (١) .

وكان لهذا أثره المبين فى تقريب ما تباعد من هذه اللهجات ، وقد وقفت قريش موقف المنتخل الذى يصطفى ما استعذب من هذه اللهجات وطاب . حتى انتهت الى ألطف اللهجات . وأجود الأساليب ، وصارت لغتها قمة العربية وخلاصتها .

ولعل اقبال العرب على القرشية كان بمثابة ارهاص لنزول الكتاب الحميد بها . وليس من شك فى أن حمل القرآن للوائها آية على فضلها ، وحجة على ارتفاع شأنها . وربما كان ذلك السر في قوله تعالى : « لقد

---

(١) راجع كتب السيرة والأدب ، وبخاصة كتاب أسواق العرب لسعيد الأفغانى .

أنزلنا اليكم كتابا فيه ذكركم » ، وفي قوله تعالى : « وانه لذكر لك ولقومك» في طرف من منازع التأويل. ولا يعز على الذكي اللبيب أن يستجلي في ذلك الحكمة ؟ فقد هيأ الله لقريش من قبل أن تتنزل آيات القرآن بلغتها ، مقام القدوة بين العرب ، فكان لها من بينهم ما أفردها بعلو الكلمة ، وسمة الزعامة ، وسعة الجاه ، ووفرة السلطان ، وتمام النفوذ الروحي والاقتصادي بين العرب ، لما تواتى لهم من ثقافة وخبرة وحنكة ، والذى ورث من لغة الحميريين ليس كثير التميز عن لغة قريش ، سواء في التصريف أم في الاعراب أم في الأسلوب .

بل ان أكثره ظاهر في اختلاف بعض الالفاظ عن بعض في الدلالة على المعاني المتحدة . فلفظ أنطى (١) في لهجة الحميريين معناه أعطى عند قريش ، والكتع عند الاولين هو الذئب عند الآخرين ، والشناتر عند حمير هي الأصابع عند قريش ، وسامدون في لغة حمير هي الغناء في لهجة قريش ، الى غير ذلك مما تجد له نظيرا في لهجات مضر ، كالسدفة فهي الظلمة عند تميم والضوء في لغة قريش (٢) .

ولما كان الخلاف بين الحميرية والقرشية غير متشعب ، ذابت لغة الحميريين كسائر اللغات الاخرى في لغة قريش التي صارت ذات غلبة وسيادة على سائر اللغات ، وبها نزل القرآن الكريم .

فاذا نزل القرآن بلغة قريش ولها ما لها من هذه المقومات ، كان ذلك ادعى الى أن تعنو له الجباه . .

لقد قيل — وصدقا ما قيل — : لو أن القرآن نزل بلغة غير لغة محمد ، ما استقامت الموازنة بين القرآن وبين كلام محمد ، ولا نفسح المجال للخوض فيه ، والطعن عليه ، ولوجد كل قبيل للقول فيه مذهبا ، فتنشق الكلمة ، ويتفرق الناس فيه جماعات ، ويتجهون في الحكم له أو عليه اتجاهات مشرقة ومغربة .

ومع نزوله بلسان النبي ولهجة (٣) قومه ، ائتلفت لغته على وجه يستطيع به العرب جميعا أن يقرءوه بلحونهم مع بقائه في فصاحته ، وحفاظه على مكانته ، وتلك سياسة لغوية جمعت العرب على منطق واحد ، ليكونوا أمة واحدة ، وهذا أيضا من وجوه الاعجاز فيه .

جاء القرآن مخالفا لكلام العرب في الطريقة والمذهب ، وفي المنزلة والصنعة ، وان جانس لغتهم في المادة والتركيب . ولولا ذلك لذهب في كلامهم . وكان سبيله سبيل القصائد والخطب والاقاصيص وغيرها . أو لتدافعته العصور والدول

---

(١) ورد مضارع هذا الفعل في شعر أبي العلاء من سقط الزند اذ قال :

لمن جيرة سيموا النوال فلم ينطوا — يظللهم ما ظل ينبته الحظ

وقد سمعتها تنطق كذلك حتى الآن في العراق . « الوعى »

(٢) راجع كتاب الاتقان ج ١ ص ٢٢٨ .

(٣) هذا لم يمنع من أن يسأل رسول الله ربه التخفيف عن أمته — حين بدأ الاسلام ينتشر في القبائل — وألا يجبر عربي مسلم له لهجة قبيلته الخاصة على تركها والنطق بما لم يألفه من لغة قريش وهذا هو ما نفهمه من حديثه « نزل القرآن على سبعة أحرف » برواياته المتعددة ، وقد عاد الامر أخيرا الى لغة قريش حيث كانت هي المرجع حين يحدث خلاف أثناء كتابته في عهد الخلفاء بعد أن هضمت القبائل جميعها لغة قريش وعرفت منها ما لم تكن تعرفه . « الوعى »

ان لم يذهب ، وكان مثله حينئذ مثل ما يبقى من أمور الانسان .

ولكن أبى الله لآيته واعجازه أن يكون كذلك ، فأنزل القرآن حاويا لأهم أسباب الارتقاء من الغلبة والانفراد والتميز . فكان سببا فى جميع ما أحدث ، وكان نزوله بهذه الطريقة المعجزة سببا فى حفظ العربية واستخراج علومها .

وكان أصل ذلك هو التحدى بها ، الذى كان من حكمته أن ينظروا فى أساليب القرآن ووجه نظمه ليتدبروا طريقته ، ويجربوا عليها أنفسهم ، ويحملوها على الاتيان بما تحداهم اليه ان استطاعوا ، حتى اذا استيقنوا العجز من أنفسهم ، وأجمعوا عليه مع توفر الدواعى وقيام الحاجة اليه ، ووجود المادة التى منها ائتلف ، كان ذلك سببا لمن يخلفهم على اللغة الى استبانة وجوه الاعجاز ، فكشف لهم ذلك عن فنون البلاغة ، وتأدت بهم الى حيث بلغوا من تتبع كلام العرب والكشف عن محاسنه .

ـــ وقد كان ذلك ـــ ولولا ماصنعوا لخرج الناس الى العجمة ، ولذهبت هذه الآداب ، ولما بقى فى الارض الى اليوم من يقول: ان القرآن معجز (١) .

ويتساءل الدكتور ستنجاس ، فيقول : (ولنسائل أنفسنا ماذا كان مصير هذه اللغة العربية لو لم يكن محمد ، ولو لم يكن القرآن ؟) ويقول : (ونحن لاننكر أن اللغة العربية أنتجت قبل الاسلام ألوانا عديدة من الشعر هى غاية فى الحسن والرقة ، الا أنها كانت كلها محفوظة فى أذهان الناس وغير مكتوبة ، زد على ذلك أن الشعر ليس هو الأدب كله ، وكان العرب فيما بينهم منقسمين الى قبائل متفرقة ، مختلفين فيما بينهم ، وفى حروب طاحنة دائمة مما أثر على كيانهم ، وعلى ألسنتهم المختلفة ، وعلى شعرهم الذى هو أدبهم الخاص بهم ، وكان العرب بجملتهم على شفا حفرة من الدمار والخراب بسبب ما كانوا عليه من التنابذ والشقاق ، ولولا عناية من الله لحققتهم ، لذهبوا وذهب معهم لسانهم وشعرهم الملىء بالغزل والحرب ، ولكان للسائح المجازف مجال للبحث والمخاطرة فى سبيل جمع ما باد من هذا الكنز ، وزال بسبب شحنائهم وتقاتلهم .

ولما جاء القرآن أبقى بطبيعته على هذا التراث ، وأوجد من مختلف اللهجات العربية لغة موحدة مكتوبة هى لغة الأدب العربى الى اليوم) .

وكان من أثر ما انتفع به المسلمون من ثقافة القرآن والدين الجديد ، ومن أسلوب الاسلام ، الذى يتجاوب مع الادراك الصحيح للحياة ، ويرسم أنجح السبل للسعادتين فى الدنيا والآخرة . أن شفت اللغة العربية عن المعانى الدقيقة ، والفكر السديد ، والفهم الرشيد ، والعمق التام ، كما انفسح المجال للغة العربية أن تعبر عما جد من مشاهد ، وما استحدث من صور ، وما وفد من معان ، بهذه الفتوح الاسلامية ، التى وقف العرب بها على ما لم يكن مألوفا من قبل ، من حضارات الفرس والروم والهند واليونان والمصريين وغيرهم .

واتسع أفق هذه اللغة حين حملت رسالة الاسلام ، واعتمد عليها الدين القيم فى شرح أهدافه ، وتجلية أغراضه ، وتبيين أحكامه ، واستعملت اللغة فى حفظ الملك ، ونشر الأمن ، وبث المساواة والعدل ، ونشر ألوية الحق والخير ، كما انفسح صدرها للحجة والبرهان ،

---

(١) نص ما قاله الرافعى فى اعجاز القرآن .

فى قهر ذوى اللجاجة والنفور .

وكان هذا الحدث العظيم الذى لم تشهد البرية من قبل ولا من بعد حدثا بلغ ما بلغه من الأثر فى تحويل ركب الحياة ، رفدا عظيما أمد لغة العرب ، بخطب روائع ، وكلمات جوامع ، ووصايا حانية واعية ، يلقى بذلك الى الناس فى مجال النهضة المباركة رسول كريم ، ويدرج على سننه خلفاء راشدون ، ويسهم تباعا فى تأثيل هذا المجد كل من حمل عبء الدعوة ممن خالط الايمان قلبه ، يدعو الى دين الله ، ويدفع عن حوضه الخصوم والمكابرين .

والمقارنة بين حال اللغة قبل القرآن وحالها من بعده ، تفصح عن المدى البعيد الذى صارت اليه عقول كانت محدودة ، وأفكار عاشت فى الغواية حينا ، ثم استنارت بنور هذا الكتاب ، فاتسع لديها مجال القول ، واتكأت على دعائم ثابتات من الهدى واليقين .

على أن الباحث لا يغفل عما حملته اللغة العربية عن كتاب الله من عبر وقصص وتاريخ ، فان هذا الكتاب « حوى من أخبار الامم ما فيه معتبر للأجيال الحاضرة والمستقبلة ، نبه على الصحيح منها ، وغادر الاباطيل التى الحقتها الاوهام بها ، ونبه على وجود العبرة فيها . حكى عن الأنبياء ما شاء الله أن يقص علينا من سيرهم ، وما كان بينهم وبين أممهم ، وبرأهم مما رماهم به أهل دينهم المعتقدون برسالتهم » (١) .

وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ يقول عن الكتاب المنزل عليه (فيه نبأ ما قبلكم ، وخبر ما بعدكم ، وحكم ما بينكم) .

والقرآن الكريم صاحب الفضل فى أن حفظ لغة الضاد من أن تستعجم حين دخل الناس فى دين الله أفواجا . كما صانها بعد أن تقبلتها الشعوب ، وأقبلوا على تعلمها حيث اختلفت لهجاتهم بها قليلا أو كثيرا وفق استعدادهم ، وتباين أحوالهم . ولولا هذا الكتاب المبين لتقطعت الأسباب بين ألسنتهم ، ولانفصلت لغة كل شعب من هذه الشعوب عن اللغة الأخرى . وما كان غريبا أن يقع مثل ذلك — لولا القرآن — كما وقع بين الفرنسية والطليانية والأسبانية ، تلك اللغات التى هى فروع من اللاتينية .

واذا كان القرآن قد جمع العرب على هذه اللغة ، فانها — كذلك من أجل هذا القرآن — قد أشرقت بالفتح الاسلامى فى البلاد المفتوحة ، حتى أصبحت اللغة الرسمية لهذه الاقطار، لاسلام كثير من أهل هذه البلاد ، واندماجهم فى الفاتحين ، مما اضطرهم الى هجر لغاتهم الاصلية ليتفاهموا مع أوليائهم من العرب ، ويتفقهوا أحكام دينهم وسنة نبيهم صلى الله عليه وسلم .

وكان من فضل القرآن على اللغة تهذيبها من الحوشية ، والسير بها الى السهولة والمتانة ، ووضوح القصد وبلوغ الغرض من أوضح الطرق ، وأجود الأساليب ، فان المسلمين طالما رطبوا شفاههم بآياته فى صلاتهم وعباداتهم ، واستجلوا مظاهر الادب الرفيع المعجز فى عباراته وأمثاله ، واستعاراته ومجازاته وكناياته ، وتشبيهه وتمثيله . وكل ذلك حقق لهم ارهافا فى الذوق ، ونضجا فى الموهبة ، وسموا فى الحاسة الفنية ، كما خلق فيهم الميل الشديد الى محاكاة أساليبه واقتباس الفاظه ..

---

(١) الامام الشيخ محمد عبده .

« يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم » .

ان الاستجابة لله وللرسول ، انما هي استجابة لدواعي الحياة ، فالرسول لا يدعو الناس الى الايمان بالله والعمل بشريعته ، تحكما فيهم ، ولا استعبادا لهم ، انما هو يدعوهم الى الحياة بكل معنى من معانى الحياة .

يدعوهم الى عقيـــدة تحيي القلوب والعقول ، وتطلقها من اســـار الجهل والخرافة ، ومن ضغط الاوهام والاساطير ، ومن رق التقليد وجمود التقاليد .

يدعوهم الى شريعة تحيي الأفراد والجماعات ، وتهيىء للجميع حياة كريمة متكافلة عادلة ، يأمن فيها كل انسان على دمه وعرضه وماله ، ويطمئن فيهـــا الى عدالة التشريع والقضاء وكفالة المجتمع والدولة ، وسعادة الدنيا والآخرة .

ويدعوهم الى القوة والعزة ، والثقة بدينهم وبربهم ، ومكافحة الظلم والبغى والفساد على ثقة بالنصر من عند الله الذى يتولى الصالحين .

ويدعوهم الى الجهاد لاعلاء كلمة الله ، وقد يصيبهم الموت فى هذا الجهاد ولكن فى الاستشهاد حياة ، حياة عند الله للشهداء ، وحياة لأمتهم فى الأرض واستعلاء ، وهكذا دعاهم الى الموقعة التى أحيتهم وأعزتهم وأحيت الاســـلام وركزت رايته على الاجيال .

ان الاسلام دين حياة ، لا عقيدة انعزال ، دين ايجابى تنمو الحياة فى ظله وترتقى ، لأنه يسبق خطى البشرية دائما ، ويقودها فى مدارج التعمير والانشاء والتطور والارتقاء ، انه نظام كامل لحياة كاملة ، وليس مجرد عقيدة روحيـــة للتهذيب والارشاد . انه يأخذ من الحياة ويعطى ، ويدفع بالحيـــاة الى الأمام محكومة بنظامه الذى لم تعرف له البشرية نظيرا منذ كان الانسان .

والتعبير يحمل هذا كله ، ويحمل معانى أخرى كثيرة ، وصورا شتى للحياة المتجددة تكمن كلها فى كلمات قليلة « استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لمـــا يحييكم » فكل صورة من صور الحياة ، وكل معنى من معانيها المتجددة سواء كانت مستترة فى الضمير أو بادية للعيان ، كلهـــا تتراءى من خلال العبارة المجمـــلة وتنبض فى الوجدان .

كانت تباشير اليوم الجديد ، من العام الميلادى الجديد ، تتسرب الينا نورا حائرا من خلال الستائر الشافة .. قلت : ألا نصلى الصبح ؟ قال الصديق : « الشاى » جاهز ، والماء الدافىء ميسور ..

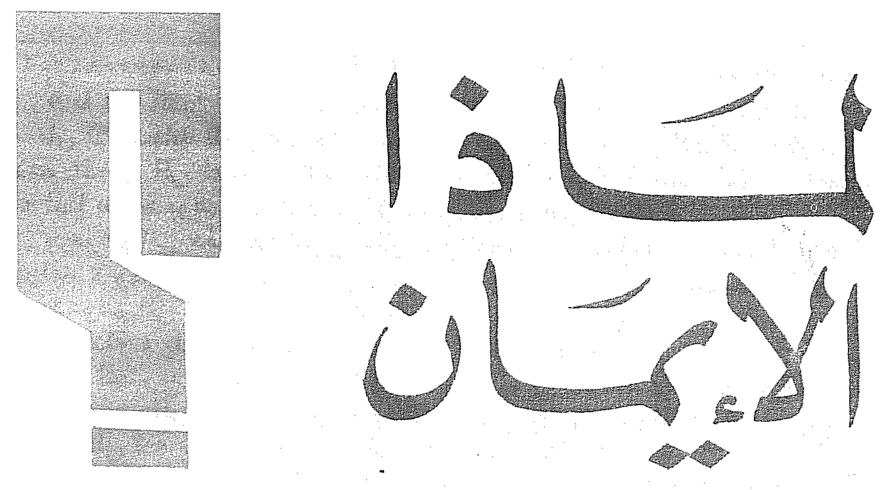
اطفأت الانوار ، وسبحنا فى جو ليلى حالم ، وقرأنا فى الصلاة خاشعين .

« يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه وأنه اليـــه تحشرون . واتقوا فتنـــة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصـــة واعلموا أن الله شـــديد العقاب . واذكروا اذ أنتم قليل مستضعفون فى الارض تخافون أن يتخطفكم الناس فآواكم وأيدكم بنصره ورزقكم من الطيبات لعلكم تشكرون .. » وبين الدعاء والبكاء تذكرنا أجواء غزوة بدر التى نزلت هذه الآيات بمناسبتها .

قال طالب : كنا نريد أن نستجر عمار الى ليلة حمراء مغرقة فاستجرنا هو الى ليلة بيضاء مشرقة !! قال عمار فى فرح وتواضع : بل الله سبحانه ساق الينا الأساتذة الكرام ولله جنود السموات والأرض ، وما أدرى هل أنتم نادمون ؟

قال رفاقه الطلاب : حاشا لله .. شتان بين حياة باريس وحياة الاسلام ! علينا عهد الله . أن نمضى فى صراط سديد مع العـــام الجديد ، فادع الله لنـــا بالتوفيق .. قال : ادع لنا يا أستاذ .

« ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنـــا وهب لنا من لدنك رحمـــة انك أنت الوهاب » .. اللهم يا مقلب القلوب والابصار ، ثبت قلوبنا على الايمان ..



بقلم : اللواء الركن محمود شيت خطاب ــ بغداد

ــ ١ ــ

في هذه الايام القاسية الصعبة ، التى تجتازها الامة العربية ، بعد الحرب بين العرب واسرائيل ، لا بد للعرب من أن يعودوا الى الله بقلوب طاهرة مخلصة تائبة منيبة ، ويلتجئوا اليه سبحانه وتعالى ، ليأخذ بأيديهم الى الطريق السوى ويهديهم سواء السبيل ، وينتشلهم من الهوة التى سقطوا فيها ، نتيجة لتقصيرهم فى حق الله وفى حق أنفسهم أيضا .

ومن المعلوم ، أن للحرب نتائج معينة على المعنويات : ترتفع معنويات المنتصر وتشتد ، وتنهار معنويات المندحر وتتضعضع .

ولكن معنويات المؤمنين حقا ، هى التى تصمد فى الشدائد والملمات ، لأن المؤمن لا يقنط أبدا ولا يضعف ، وصدق الله العظيم : (ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون) ؟! (١) .

لقد وردت كلمة (قنط) ومشتقاتها فى ست آيات من آيات الذكر الحكيم ، كلها تحث على التفاؤل وتنهى عن القنوط ، وتصف الذين يقنطون من رحمة الله بصفات تخرجهم من حظيرة المؤمنين .

وما يقال عن القنوط ، يقال عن اليأس ، قال تعالى : (ولا تيأسوا من روح الله انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون) (٢) .

انه لا قنوط ولا يأس مع الايمان ، وهذا وحده كفيل برفع المعنويات .

ــ ٢ ــ

والعدو فى الحرب ، يستهدف تحطيم جيش عدوه ماديا ومعنويا .

وهذا التحطيم ، هو الهدف الحيوى للعدو من الحرب . (٣)

ان الأرض التى يحتلها العدو بما فيها من قرى وقصبات ومدن ، لا تؤدى الى النصر الحاسم ، ما لم تتحطم قوى الجيش المادية والمعنوية بالدرجة الأولى ، وقوى الشعب المادية والمعنوية بالدرجة الثانية .

---

(١) الآية الكريمة من سورة الحجر (١٥ : ٥٦) .

(٢) الآية الكريمة من سورة يوسف (١٤ : ٨٧) .

(٣) فى الكتب العسكرية المعتمدة ، ان هدف الحرب الخطير : هو تحطيم جيش العدو ماديا ومعنويا ، لاجباره على الاستسلام دون قيد أو شرط . وليس هدف الحرب الاستيلاء على الارض أو المدن أو الاموال ، لأن كل ذلك لا يؤدي الى النصر الحاسم اذا بقي جيش العدو سليما من الناحيتين المادية والمعنوية .

فاذا استطاع العدو فى الميدان ، أن يحتل بلاد عدوه ، وأن يحطم جيشه ماديا ، ولكنه لم يستطع أن يحطم معنويات ذلك الجيش ، فان هذا العدو يكون قد انتصر فى (معركة) ولم ينتصر فى (حرب) .

والانتصار فى (معركة) يكون انتصارا (تعبويا) أى أنه يكون انتصارا (محليا) فى ظروف معينة وفى زمان معين ، ولكن قد تدور الدوائر عليه ، لأن الحرب سجال ، فيصبح الغالب مغلوبا .

أما الانتصار فى (حرب) فهو انتصار سوقى (استراتيجى) أى انه يكون انتصارا (مصيريا) ويتم بعده الاستسلام .

لذلك يحاول العدو أن يركز على تحطيم المعنويات ، ويشن حربا نفسية على خصمه ، فاذا استطاع أن يشيع القنوط واليأس فى النفوس ، فقد تكامل نصره وأصبح نصرا مستداما .

والا فان نصره يبقى نصرا مؤقتا يزول مع الايام .

— ٣ —

ولعل شواهد تاريخ الحرب تظهر هذه الحقيقة بجلاء ووضوح .

فى أوائل القرن التاسع عشر انتصر الفرنسيون بقيادة نابليون بونبارت على الروس فى معارك كثيرة .

ولكن نتيجة الحرب ، كانت للروس على الفرنسيين ، لأن الفرنسيين لم يستطيعوا تحطيم معنويات الروس ، فكان النصر بجانب المعنويات الصامدة .

وفى الحرب العالمية الاولى ، انتصر الالمان فى معارك كثيرة ، ولكنهم اندحروا فى الاخير ، لأنهم لم يستطيعوا تحطيم معنويات أعدائهم .

وفى الحرب العالمية الثانية اكتسح الالمان جيكوسلوفاكيا فى ربيع عام ١٩٣٩ ، واكتسحوا بولندا فى خريف ذلك العام .

واكتسح الالمان فرنسا بحرب الصاعقة عام ١٩٤٠ ، كما اكتسحوا هولندا وبلجيكا وأصبحت بريطانيا مهددة بالغزو الالمانى .

وفى عام ١٩٤١ اكتسحت ألمانيا الاتحاد السوفيتى حتى هددت موسكو وستالين غراد وانحدرت جنوبا باتجاه سواستبول وشبه جزيرة القرم .

وفى شمال افريقية اندفع رومل الى حدود مصر ، واستعد موسولينى لدخول القاهرة على حصانه الابيض عام ١٩٤٢ .

بل امتدت الانتصارات الالمانية الى شمال أوروبا ، فشملت النرويج أيضا .

وبدا للعالم ، أن كل شىء يسير فى الحرب لمصلحة ألمانيا ، وأن النصر أصبح منها قاب قوسين أو أدنى .

ولكن الحرب انتهت فى شمال افريقية باندحار المحور ، وانحازت ايطاليا الى الحلفاء فى تشرين الاول (أكتوبر) عام ١٩٤٣ . وبدا غزو الحلفاء لشبه جزيرة نورماندى فى فرنسا ليلة ٥/٦ حزيران عام ١٩٤٤ .

واجتاح الروس الجبهة الشرقية الالمانية فى أول كانون الثانى (يناير) عام ١٩٤٥ .

واجتاح الحلفاء الجبهة الغربية الالمانية فوصلوا الى نهر الراين فى شباط (فبراير) عام ١٩٤٥ .

وفى ٩ مارس عام ١٩٤٥ ، استسلمت ألمانيا للحلفاء .

كانت انتصارات ألمانيا على الحلفاء فى الصفحة الاولى من صفحات الحرب العالمية الثانية انتصارات (تعبوية) ، لها تأثير وقتى على الدعاية وعلى السمعة و (الهيبة) ولا شىء غير ذلك .

وكانت انتصارات الحلفاء ، في (العلمين) وفي (نورماندي) وفى الجبهة

الشرقية ، انتصارات سوقية (استراتيجية) ، لها تأثير على نتائج الحرب ، لذلك خسرت ألمانيا الحرب فى النهاية .

والمهم فى الامر ، أن ألمانيا استطاعت احتلال كثير من بلاد أعدائها ، واستطاعت تحطيم القوى المادية لجيوشهم ، ولكنها لم تستطع تحطيم معنويات أعدائها ، لذلك انتصروا عليها فى نهاية الحرب .

ولو أن ألمانيا استطاعت تحطيم أعدائها معنويا ، كما استطاعت أن تحطمهم (ماديا) ، لانهار أعداء ألمانيا ، ولاستسلموا بدون قيد أو شرط للألمان ، ولكان النصر حليف ألمانيا فى الحرب .

— ٤ —

واذا أردنا أن نذكر لمحات من تاريخ العرب والمسلمين تبرهن على أن النصر فى النهاية للمعنويات العالية ، لضاق بنا المجال .

دخل هولاكو والتتار بغداد ، فأين هم اليوم ؟

واحتل الصليبيون كثيرا من سورية ولبنان وفلسطين ، فماذا كان مصيرهم؟

واحتل الانكليز مصر والعراق ، فماذا كانت النتيجة ؟

واحتل الايطاليون ليبيا والفرنسيون تونس والجزائر والمغرب . فأين هم اليوم ؟

فى طريق عودتى الى الوطن عام ١٩٥٥ ، تعرفت فى باريس الى جماعة من الجزائريين . وفى يوم من الايام افتقدت أحدهم ، فسألت أصحابه عنه ، فقالوا : (خرج الى الندىّ مع كافر) . .

كان أولئك النفر من الجزائريين فقراء معدمين ، وكانوا يرزحون تحت نير الاستعمار الفرنسى الغاشم ، وكانوا يعيشون أجراء لذلك المستعمر ، غرباء عن بلادهم ، بعيدين عن عوامل القوة المستمدة من السيادة أو الاهل أو الاصحاب أو الثراء ، ولكنهم كانوا مؤمنين بتفوقهم عربا مسلمين ، معتزين بخصائص دينهم وأمتهم ، فكان هذا الاعتزاز ، مصدرا لكل قوتهم فى هذه الحياة .

كانوا فقراء ماديا ، ولكنهم كانوا أغنياء معنويا . .

كانت فرنسا تدعى حينذاك ، أن الجزائر جزء لا يتجزأ من فرنسا ، وأن الشعب الجزائرى جزء لا يتجزأ من الشعب الفرنسى ، وكان الجزائريون وهم يعيشون فى فرنسا يقولون : ان الجزائر جزء لا يتجزأ من مكة المكرمة والقاهرة ودمشق وبغداد ، وأئمة الشعب الجزائرى جزء لا يتجزأ من الشعب العربى المسلم : أشقاء العرب من الخليج الى المحيط ، وأخوة المسلمين من المحيط الى المحيط .

وما كان يردده الجزائريون علنا ، كان يردده اخوان لنا فى اللغة والدين من أهل ليبيا وتونس والمغرب ، وكان يردده معهم كل العرب فى بلاد العرب وكل المسلمين فى دار الاسلام .

كان الايمان وحده مع شعب المغرب العربى ، وكانت الاساطيل والجيوش والقوة القاهرة مع الاستعمار ، فانتصر الايمان على القوة ، وانتصر الحق على الباطل ، **وأصبح المغرب العربى حرا مستقلا ، وباء المستعمرون بالخزى والعار .**

— ٥ —

ان النصر فى النهاية ، للمعنويات العالية .

لذلك يحاول العدو بعد انتصاره على القوى المادية لخصمه ، أن يشن حربا نفسية لا هوادة فيها ، ليربح معركة المعنويات لأنه يعلم أن المعنويات اذا بقيت سليمة ، فان نصره يبقى ناقصا ، والعاقبة للصابرين .

فما هى وسائل الحرب النفسية لتحطيم المعنويات ؟

من وسائلها ، اشاعة اليـأس والقنوط فى النفوس لكى يجعلها ترضخ وتستسلم للأمر الواقع .

وقد مر بنا ، أن المؤمن لا ييأس ، وأنه لا يقنط ، وأن الاسلام يحارب اليأس والقنوط بشدة وعنف لا نظير لهما فى الاديان السماوية الاخرى .

ومن وسائلها التخويف من الموت قصفا بالقنابل من الجو أو قتلا بالاسلحة الارضية الفتاكة .

ومن مبادىء الاسلام ، غرس الايمان بالقضاء والقدر ، وأن الانسان لايموت الا بأجله الموعود .

قال تعالى : « ولن يؤخر الله نفسا اذا جاء أجلها » (١) ، وقال تعالـى : « فاذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون » (٢) .

ومن وسائلها ، التخويف من الفقر والعوز والحاجة .

ومن مبادىء الاسلام ، أن الله هو الرزاق ، وأنه يرزق الناس جميعا ، وأن الغنى والفقر من الله سبحانه وتعالى ، وأنه لا ينسى النملة المنفردة فى الصخرة المنفردة فى البحر المحيط ، اذ يرسل لها رزقها رغدا ويرزقها من حيث لا تحتسب .

قال تعالى : « ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين » (٣) ، وقال تعالى : « الله الذى خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم » (٤) ، وقال : « ونرزق من نشاء بغير حساب » (٥) ، وقال : « لا نسألك رزقا نحن نرزقك » (٦) ، وقال : « ولا تقتلوا أولادكم خشية املاق نحن نرزقهم واياكم » (٧) ، وقال : « والله يرزق من يشاء بغير حساب » (٨) ، وقال : « الله لطيف بعباده يرزق من يشاء وهو القوى العزيز » (٩) وقال تعالى : « وكأين من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها واياكم » (١٠) .

لقد وردت كلمة (رزق) ومشتقاتها فى ثلاث وعشرين ومائة آية من آيات الذكر الحكيم ، كلها تنص بما لا يدع مجالا للشك ، بأن الرزق هو من عند الله .

ومن وسائلها ، بث الشكوك والاوهام فى امكان احراز النصر بعد الاندحار .

ومن مبادىء الاسلام ، أن الايام دول بين الناس ، وأن الحرب سجال يوم لك ويوم عليك ، وأن النصر من عند الله .

قال تعالى : « وتلك الايام نداولها بين الناس » (١١) ، وقال تعالى : « وما النصر الا من عند الله العزيز الحكيم » (١٢) .

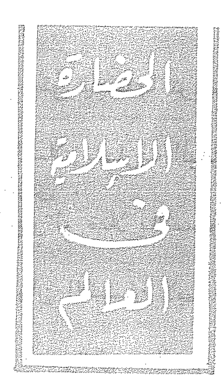
ومن وسائلها : اشاعة الحزن والأسى على ما فات ، للقعود عن الاستعداد واكمال أسباب النصر .

ومن مبادىء الاسلام ، العمل الدائب وعدم الحزن على ما مضى وفات .

(البقيـــة ص ٣٩)

---

(١) الآية الكريمة من سورة المنافقين .
(٢) الآية الكريمة من سورة الاعراف (٧ : ٣٤) .
(٣) الآية الكريمة من سورة الذاريات (٥١ : ٥٨) .
(٤) الآية الكريمة من سورة الروم (٣٠ : ٤٠) .
(٥) الآية الكريمة من سورة آل عمران (٣ : ٢٧) .
(٦) الآية الكريمة من سورة طه (٢٠ : ١٣٢) .
(٧) الآية الكريمة من سورة الاسراء (١٧ : ٣١) .
(٨) الآية الكريمة من سورة البقرة (٢ : ٢١٢) .
(٩) الآية الكريمة من سورة الشورى (٤٢ : ١٩) .
(١٠) الآية الكريمة من سورة العنكبوت (٢٩ : ٦٠) .
(١١) الآية الكريمة من سورة آل عمران (٣ : ١٤٠) .
(١٢) الآية الكريمة من سورة آل عمران (٣ : ١٢٦) .



في يوغسلافيا

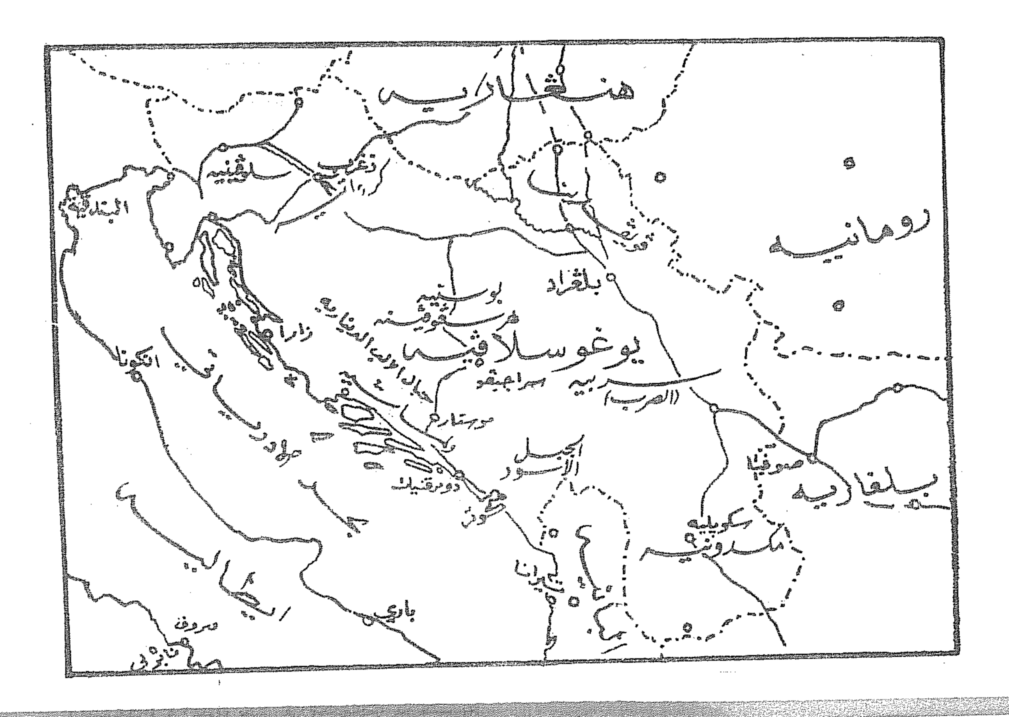
للدكتور / كامل البوهى
مراقب الشئون الدينية باذاعة القاهرة

أولا — في يوغسلافيا :

ان اسم يوغسلافيا كما نعرفه الآن اسم جديد لم يعرف قبل الحرب العالمية الاولى فقد كانت الشعوب التى تسمى الآن بالشعوب اليوغسلافية تعيش على شكل قبائل متفرقة منذ وفدت مهاجرة من الشمال الى شبه جزيرة البلقان فى القرن السابع الميلادى . وقد عاشت هذه القبائل فى ظل الدولة البيزنطية ، وأخذت تتصل بالعرب الفاتحين بحكم اتصال تلك الدولة بهم ، وكثيرا ماكانت تتحالف مع العرب الذين يحملون دعوة الحرية للبشر ضد البيزنطيين الذين يفرضون العبودية على الناس، ويتحكمون فى مصير تلك القبائل ..

وقد ورد ذكر هذه القبائل كثيرا فى المراجع التاريخية العربية التى أطلقت عليهم اسم الصقالبة ، فيذكرهم « مروج الذهب » ، ويصفهم بالشجاعة والنجدة .

وصاحب « نفح الطيب » يذكر أن جماعة كبيرة منهم كانت فى خدمة الخلفاء ، وكان الخلفاء يثقون فيهم كل الثقة ، ويذكر منهم جعفر بن محمد المصحفى الصقالبى ، كما يذكر المقريزى فى « الخطط » أن الفاطميين أيضا قد استعانوا بهم ، ويرجح كثير من المؤرخين أن جوهر الصقلى قائد المعز لدين الله الفاطمى ، وبانى القاهرة والازهر الشريف من هؤلاء الصقالبة .



ويذكر المسعودى فى تاريخه أن أم المستعين بالله العباسى كانت صقلبية ويسميها مخارق .

وقد استمر الاتصال بين العرب والصقالبة على مر القرون بعد أن استقر الصقالبة فى شبه جزيرة البلقان ، وكونوا هناك عدة ممالك منها مملكة الصرب والكروات وغيرها، وبعد أن توحدت بعض هذه الممالك باسم مملكة يوغسلافيا سنة ١٩٢٩ ، اتحدت جميعها بعد الحرب العالمية الثانية باسم جمهورية يوغسلافيا سنة ١٩٤٥ ..

والمسلمون الذين لم يفتحوا القسطنطينية فى عصر الفتوحات الاسلامية الاولى . ليدخلوا الى أوروبا من بابها الشرقى ، دخلوها من بابها الغربى فى الاندلس ، وأسسوا هناك حضارة ما زال التاريخ يتحدث عنها وعن أثرها فى الحضارة الاوروبية الحديثة .

أما فى البلقان فقد كانت أنوار الاسلام تنتشر عن طريق التجار وعن طريق انبهار الناس بهذه المبادىء الاسلامية الرفيعة قبل أن يدخلها المسلمون ، ويفتحوا الباب الشرقى لأوروبا فى القرن الثامن الهجرى ، ولم ينته القرن التاسع (الخامس عشر الميلادى) حتى كان الاسلام قد انتشر فى بلغاريا والبوسنة والهرسك والصرب وألبانيا وغيرها ، ثم عبر نهر الطونة ودخل المجر ، وامتدت أضواؤه حتى غزت أبواب فيينا ..

وقد وصف الرحالة الشهير «أوليا جيلبى » (١) المسلمين فى البلقان فى عصره ، فذكر عند وصفه لمدينـــة «بلغراد» أنه كان بها ٢١٧ مسجدا ، وثمـــانية مدارس ، وتسعة دور للحديث ، و٢٧٠ مكتبا لتعليم اللغة العربية وتحفيظ القرآن الكريم ..

هذا والاوقاف العديدة التى لاتزال حتى الآن فى أنحاء البلاد اليوغسلافية تتحدث عن الحضـــارة الاسلامية فى القرون الستة الاخيرة ، منــذ أوائل القرن الخامس عشر حتى اليوم ، ففى مدينة«سكوباية»(٢) عاصمة جمهورية مقدونيا اليوغســـلافية — كثير من المساجد والمدارس والمكتبات يرجــع عهدها الى أوائل القرن الخامس عشر الميلادى ، وفى مدينة « بيتولى » — من مدن مقدونيا أيضا — وقفيـــات عديدة يرجع تاريخ بعضها الى القرن الخـــامس عشر وبعضها الآخر الى القرن السادس عشر .

أما فى مدينة سراييفو التى كانت تسمى فى العصر العثمانى « سراى بوسنة » ، وفى مدينة « موستار » عاصمة منطقة الهرســـــك ، وفى غيرهمـــا من المدن العـــديدة ، فى البوسنة والهرسك مثل مدينة توزله ، وبانيالوكا ، وترافنيك ، فان الطابع العام فيها طابع اســـلامى خالص ، المآذن تطالعك عنـــد اشرافك على المدينة من بعيد . « والسلام عليكم » تمـــلأ أذنيك وقلبك عند دخولك أية مدينـــة من تلك المدن . وأســـماء مصطفى — وعمـــر — وحسين — وفاطمة — وأمينة — ولمياء .. تتردد فى كل بيت ومدرسة . والكلمـــات العربية تشكل نسبة كبيرة من اللغة اليوغسلافية ، وشهر رمضـــان له طابع خاص فى حيـــاة النـــاس ، والاحتفالات بليلة القدر وعيد الفطر والاضحى ، والمناسبات الاســـلامية تملأ القلوب بالفرحة والجلال ..

وقد برز من اليوغسلاف (٣) خلال القرون الستة الأخيرة عدد كبير من علماء الاسلام كانوا يشغلون مناصب القضاء والافتاء والتدريس فى عدد من العواصم الاسلامية ومن أشهر هؤلاء العلماء .

محمد بن موسى البوسنوى الشهير بعلامك قاضى القضاة فى حلب . وقد خلف أكثر من عشرة كتب ما زالت كلها مخطوطة متفرقة فى مكتبات العالم الاسلامى . فى دار الكتب المصرية ، وفى مكتبة الغـــازى خسرو بك فى سراييفو .. وفى مكتبـــة جامعـــة بلغراد وغيرها . وأكثر هذه المؤلفات فى التفسير والبلاغة العربية والنحو العربى والمنطق ، وقد ترجم له المحبى (محمـــد أمين) فى كتابه « نفحة الريحانه ورشحة طلاء الحانة » وذكر بروكلمان كثيرا من مؤلفاته العربية ، كما ذكرها أيضا حاجى خليفـــة فى كشف الظنون ، وقد عاش علامك فى

---

(١) أولياجلبى رحالة تركى عاش فى أواسط القرن الحادى عشر الهجرى وأشهر مؤلفاته كتاب بعنوان « سياختنامه » .

(٢) لقد دمر الزلزال العنيف كثيرا من عمران هذه المدينة العريقة منذ أكثر من ثلاث سنوات فى يوليو سنة ١٩٦٣ فراح ضحيته فضلا عن آلاف الارواح مئات المخطوطات العربية التى كانت محفوظة فى مكتبات المدينة التى هدمت وفى دار محفوظاتها ..

(٣) معنى هذه الكلمة باللغة اليوغسلافية (صقالبة الجنوب) وهى مركبة من مقطعين : « يوجو » ومعناها جنوب ، و « سلاف » وهم الذين يسميهم المؤرخون العرب بالصقالبة .

نهاية القرن العاشر وبداية القرن الحادي عشر الهجري ..

ومنهم حسين باشا البلغرادي الذي كان بمدرسة السلطان سليم الأول بالقسطنطينية ، ثم تركها وعزم على الاقامة بالقاهرة وأنشأ بيتا متسعا مطلا على بركة الفيل جعله ناديا يستقبل فيه الواردين عليه ليتوسلوا من فيض عليه ، وقد ترجم له صاحب « خلاصة الاثر في أعيان القرن الحادي عشر » كما ترجم له الحبي في نفحة الريحانة ، واثبت له قصيدة رائعة منها قوله .

تجود بإتيان الذنوب جوارحي
وطرفي بإقطار الندامة باخل

وقد توفى حسين باشا بالقاهرة في رجب سنة ١٠٢٢ هـ .

ومنهم عبد الله البوسنوي الذي ألف أحسن شرح حتى الآن لفصوص الحكم (١) حتى لقب بشارح الفصوص ، والذي ألف أكثر من ستين مؤلفا ، بين مجلد ضخم في التصوف ، ورسالة صغيرة في التفسير الصوفي للقرآن الكريم . وقد قضى عبد الله البوسنوي شطرا طويلا من حياته بين القاهرة ودمشق ومكة ، وقد شرح فصوص الحكم باللغة التركية ، أولا ، واشتهر الشرح في بلاد العرب ، فطلبوا منه أن يشرحه لهم بلسانهم على ذوق الشوق ، ومن هذا الشرح العربي نسخة جميلة في دار الكتب المصرية . أما الشرح التركي فمطبوع ، وللمؤلف شرح على تائية ابن الفارض سماه « قرة عين الشهود ومرآة عرائس معاني الغيب والوجود » ومنه نسخة خطية في المكتبة الظاهرية بدمشق . وقد توفى عبد الله البوسنوي سنة ١٠٥٤ هـ

أما أشهر هؤلاء العلماء اليوغسلاف على الاطلاق فهو العالم الشاعر المصلح الثائر حسن كافى الاقحصاري (٩٥١-١٠٢٥هـ) (٢) وقد ترجم لنفسه في نهاية كتابه (نظام العلماء الى خاتم الانبياء) وتولى القضاء والتدريس في اقحصار ، ثم القضاء في الاناضول ، وطوف بالبلاد الاسلامية ، يلقى علماءها ، ويناقش زعماءها في القدس والشام ، وفي مكة والمدينة . ومؤلفاته الباقية حتى اليوم تزيد عن عشرين مؤلفا .. في الفقه والاصول ، والعقائد والوعظ ، والبيان والبديع ، والنحو والصرف ، والسياسة والاجتماع ، والتاريخ والمنطق ، وقد طبع من بين هذه المؤلفات جميعا كتاب واحد هو أصول الحكم في نظام العالم) – وهو كتاب رائع يضع فيه مؤلفه تحليلا بديعا للحكم ، وينتقد في صراحة وجرأة عيوب الحكم العثماني ، وما انتشر منذ أيامه من ظلم ورشوة وفساد ، وينبئ بما سيحل بالعالم الاسلامي من تخلف ، بسبب انصرافه عن أسباب القوة ، وبعده عن جادة الطريق ، بل عن تعاليم الاسلام وروح الاسلام . وقد ترجم الكتاب من العربية الى أكثر اللغات الحية في عصره ، ترجم الى التركية أولا ، ثم الى الفرنسية ، والمجرية والالمانية والانجليزية ..

ويلاحظ أن هؤلاء العلماء الذين ذكرناهم جميعا كانوا من جيل واحد من أواخر القرن العاشر وأوائل القرن الحادي عشر الهجري ، ثم خلف من بعدهم خلف لم يزل يناضل

---

(١) فصوص الحكم لمحيي الدين بن عربي .
(٢) تجد نبذة عنه وعن مدينة اقحصار بالبوسنة مسقط رأسه في « المنجد » طبعة بيروت .

في سبيل الحضارة الاسلامية ، وينشر الثقافة الاسلامية .

ومن أشهر هؤلاء مفتى الهرسك مصطفى يوسف الموستاري (١٠٦١ — ١١١٩ هـ) وقد عين أستاذا للعلوم العربية والدراسات الاسلامية بالقسطنطينية ، وهو لا يزال في شرخ الشباب ، ثم توفى استاذه السابق مفتى الهرسك ، فأصر الهرسكيون على اسناد المنصب الى نابغة اقليمهم مصطفى يوسف الموستارى ، فعاد الى موستار ، وعاش بها خمسة عشر عاما ، ينشر العلم والثقافة العربيـــة ، وقد عثرنا على سبعة وعشرين مخطوطا من مؤلفاته ، فى العقائد وأصول الفقه ، والبلاغة والنحو ، والمنطق والوضع ، ولكن أكثر مؤلفاته كانت فى أدب البحث والمناظرة ، ولا يزال ضريحه يزار حتى الآن ، ولا يزال العلماء اليوغسلاف يكتبون عنه ، ويترجمون له ، ولاتزال الاساطير الشعبية تروى عن كراماته، حتى أن الكثيرين يعتقدون أن الطفل الغبى اذا زار ضريحه أربعين يوما بعد صلاة الصبح يصير ذكيا ويزول غباؤه ..

ومن الجيل الذى يليه نستطيع أن نذكر عبد الوهاب بن حسن البوسنوى وقد ذكره الجبرتى فى تاريخه فيمن توفى سنة خمس ومائتين وألف فقال:

ومات العمدة الفاضل الواعظ عبد الوهاب بن الحسن البوسنوى السرائى (١) المعروف ببشناق (٢) أفندى ، وقد عاش أكثر من خمسة وثلاثين عاما متنقلا بين القاهرة ومكة والمدينة ، يلهب حماس الجماهير بوعظه الثائر ، ويتنكر فى أزياء مختلفة ليهرب من بطش الحكام آنذاك ، وكم طارده حكام عصره بسبب تشنيعه على ظلمهم ، ولم نجد له الا مؤلفا واحدا فى مناسك الحج وحتى هذا المؤلف الواحد ينسبه بعض الباحثين الى بوسنوى آخر يحمل نفس الاسم « عبد الوهاب بن حسن البوسنوى » وعاش فى نفس الفترة .

أما الجيل الذى يليه فقد ظهر منه فى العالم الاسلامى عدد كبير من العلماء اليوغسلاف نذكر منهم على فهمى جابيتش (٣) ضحية الظلم العثمانى ، والمؤامرات السلطانية ، الذى ترك منصب الافتاء فى موستار، وهاجر الى استانبول فى سبيل دعوته لاستقلال التعليم الدينى الاسلامى عن سلطة الدولة المجرية النمسوية ، التى تنازل لها الباب العالى عن البوسنة والهرسك ، ثم نجده أستاذا للآداب العربية فى كلية الآداب باستامبول ، ولكنه يكتب مقالا فى احدى الصحف ، فيطرد من منصبه ، ثم تنتهى حياته بطريقة غامضة ، وتضيع مكتبته الخاصة ، وتختفى مؤلفاته المخطوطة ، ولكننا مع ذلك نعثر له على كتابين مطبوعين أحدهما بعنوان « حسن الصحابة فى شرح أشعار الصحابة » وهو أول كتاب فى الادب العربى كله يجمع أشعار الصحابة —عليهم الرضوان— من أكثر من مائة مصدر ، ويترجم لهم ترجمة طويلة طريفة ، وقد زاد عدد الصحابة الذين ترجم لهم وجمع

---

(١) السرائى نسبة الى مدينة سراى وهو الاسم القديم لمدينة سراييفو الحالية .

(٢) النسبة التركية الى بوسنة (بوشنياق) وقد حرفت قليلا فأصبحت بوشناق .

(٣) يسميه اليوغسلاف « جابيتش » ويسميه الأتراك « جابى زادة » ومعناها بالعربية « ابن الجابى » .

اشعارهم في الجزء الاول وحده (١) اكثر من مائة صحابى .. وقد انتهى من تأليف هذا الكتاب سنة ١٣٢٧ هـ.

والكتاب المطبوع الثانى بعنـوان « طلبة الطالب فى شرح لامية أبى طالب » وهو شرح ممتـاز لقصيدة طويلة قالها أبو طالب بن عبد المطلب بعدما دخل الشعب عند مقاطعـة قريش لبنى هاشم والمطلب .

ونختم هـذه الباقة من العلمـاء الافاضل الذين نشأوا فى يوغسلافيا واسهموا فى الثقافة الاسلامية على مستوى العلم الاسلامي بعالم فاضل كان أول يوغسلافي يكتب فى علم الحديث ، وأول يوغسلافي يحـاول كتابة دائرة معارف اسـلامية وهو « محمد الخنانجي البوسنوى » من علماء الأزهر الشريف ، فقد وفد الى مصر فى ربيع الاول سنة ١٣٤٥ هـ وبقى بها خمس سنوات ، وهو يذكر لنا فى كتابه « الحاوى » عددا من أساتذته فى الازهر ، منهم الشيخ على محفـوظ ، والشيخ حسنين مخلوف ، والشيخ سـيد المرصفى وغيرهم ..

وبالرغم من أن الموت قد عاجله فى زهرة الشباب (٢) ــ أو كما يشـاع بين البوسنويين أن المستعمرين قد دسـوا له السم ــ فقد ترك أكثر من خمسة وعشرين كتابا مطبوعا باللغة اليوغسلافية وكلها عن العلوم العربية والدراسات الاسلامية ، ومنها مـا أعيد طبعه مرات .

اما باللغة العربية فلم يطبع له غير بحثين احدهما « الجوهر الاسنى فى تراجم علماء وشعراء بوسنه» والثانى لم يجمع بعد فى كتاب ، ولكنه مطبوع على شكل ابحاث مسلسلة فى مجلة «جلاسنيك» (٣) فى الاعداد من الاول حتى الرابع من سـنة ١٩٣٤ وهى أبحاث فى علم الحديث ، ونقد كتب الحديث وبيان صحيحه من زائفه ..

وقد عثرت له على اثنى عشـر مخطوطا باللغة العربية من اهمها :

١ ــ مجمع البحار فى تاريخ العلوم والاسفار (مخطوط رقم ٩٥ بمكتبة الفازى خسروبك) (٤) .

٢ ــ تذييـل كشف الظنون فى أسامى الكتب والفنون (مخطوط رقم ٩٦ بمكتبة الفازى خسروبك) .

٣ ــ كتاب عن مصر وتاريخها .. (مخطوط رقم ٢/٦٦٢ بمكتبة الفازى خسروبك) .

أما العلماء اليوغسلاف من جيلنا هذا فيكتبون عن الاسلام والحضارة الاسلامية بشتى اللغات ، فمنهم من يكتب باللغة اليوغسلافية ، واللغات الاوروبية الاخرى ولكنهم لا يكتبون باللغة العربية من أمثال : الدكتور فهيم بيرقد اروفيتش ــ والدكتـور حازم شعبا نوفيتش .. والدكتور محمد بيجوفيتش ومنهـم من يكتب باللغة اليوغسـلافية واللغـات الاوروبية ، كما يكتب باللغة العربية من مثل : الدكتور حسن قلشي ــ وله مؤلفات عديدة عن الاسلام والحضارة الاسلامية باللغات العربية والتركية

(١) وهو الجزء المطبوع .

(٢) توفى أثناء الحرب العالمية الثانية ١٩٤٥ وهو فى الثامنة والثلاثين من عمره .

(٣) مجلة الطائفة الاسلامية فى يوغسلافيا .

(٤) أكبر مكتبة للكتب الشرقية فى يوغسلافيا .. ومن أكبر مكتبات أوربا على الاطلاق ..

والالبانية واليوغسلافية والالمانية — كما يشترك معي في وضع أول قاموس يوغسلافي عربي ..

ومنهم من يكتب باللغة اليوغسلافية واللغة العربية واللغات الشرقية من مثل :

قاسم دبريشته ، وبسيم قرقط ، وعمر موشيتش ، وتوفيق مفقيتش ، وحسين جوزو ، وعبد الرحمن هوكيتش وغيرهم .. ولكل هؤلاء العلماء مجهودات مشكورة في الترجمة كذلك ..

ولعلنا في هذه النبذة المختصرة نكون قد وفقنا في رسم صورة عامة للحضارة الاسلامية في يوغسلافيا ، كما نرجو أن نوفق في العمل على توثيق العلاقات الثقافية بيننا وبين هؤلاء العلماء ، وأن يعمل المسئولون عن الاجهزة الثقافية في كل من يوغسلافيا والبلاد العربية على دراسة المخطوطات العربية في يوغسلافيا ، وهي تزيد عن خمسة عشر ألف مخطوط ، وعلى تبادل الكتب والمجلات ، بل وعلى اسهام الاقلام العربية في المجلات اليوغسلافية ، والاقلام اليوغسلافية في المجلات العربية ، لا سيما وأن في يوغسلافيا ثلاث مجلات دورية تهتم بالدراسات العربية والبحوث الاسلامية وهي :

١ — مجلة ((جلاسنيك)) مجلة اسلامية شهرية تصدرها رئاسة العلماء في يوغسلافيا .

٢ — مجلة ((بريلوزى)) وهي مجلة سنوية كبيرة تصدر على المستوى العالمي .. باللغة اليوغسلافية ، ولكل بحث ملخص في نهايته بلغة من اللغات الاوروبية الحية ، وكل بحوثها ودراساتها عن الاسلام وتاريخ الاسلام في يوغسلافيا ..

٣ — مجلة ((الأمل)) وهي مجلة نصف سنوية يصدرها طلاب الدراسات الشرقية في جامعة بلغراد وهي ذات اتجاه أدبي فني ثقافي عام ، ولكنها خاصة بالآداب العربية والتركية ..

وهناك ايضا كما عرفنا عدد من العلماء يكتب باللغة العربية ، فلنتبادل المجلات والمطبوعات ، ولنتبادل الأفكار والابحاث ، ولنعمل على توثيق العلاقة بين الشعوب ، فهذه فيما أرى من أهم أهداف العلم والعلماء ..

والله ولي التوفيق ،،،

- الاغتيال لا يغير تاريخ العالم
- الجامعة يجب أن تكون مكان الضوء ومكان الحرية ومكان العلم .
- كن عادلا وانت لا تخشى شيئا .
- الخلاف في الدين ينتج من الخصومة اكثر مما ينتج الخلاف في السياسة .

قال تعالى : « ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون ان كنتم مؤمنين » (١) .
وقال : « فأثابكم غما بغم لكيلا تحزنوا على ما فاتكـم ولا ما أصابكـم » (٢) .
وقال : « وينجي الله الذين اتقوا بمفازتهم لا يمسهم السوء ولا هم يحزنون » (٣).

ومن وسائلها ، بعث الاحقاد والضغائن ، والعمل على تفرقة الصفوف .

ومن مبادىء الاسلام ، رص الصفوف ، ومحاربة الفرقة ، والحث على الوحدة والتوحيد .

قال تعـــالى : « ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعـد ما جاءهم البينات » (٤) ، وقال : « ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله » (٥) . وقال : « واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا » (٦) . وقال تعالى : « انما المؤمنون اخوة فأصلحوا بين أخويكم » (٧) .

ومن وسائلها ، بث الاشاعات المغرضة ، والاشاعات من أقوى ســلاح العدو لتحطيم المعنويات .

ومن مبادىء الاسلام ، محاربة الاشاعات ، والحث على اخبار ذوى الامر بها فورا ، لوضع حد لعملها التخريبي .

قال تعالى : « واذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به ولـو ردوه الى الرسول والى أولى الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم ولـولا فضل الله عليكم ورحمتــه لاتبعتم الشيطان الا قليلا » (٨) ، وقال : « لئن لم ينته المنافقون والذين فى قلوبهم مرض والمرجفـون فى المدينة لنغرينــك بهم ثـم لا يجاورونك فيها الا قليلا » (٩) ، وقال : « يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة ، فتصبحوا على ما فعلتم نادمين » (١٠) .

ان العودة الى الله ، فى مثل هــذه الايام الصعبة القاسية ، تجعل من العربــى المسلم متفائــلا لا يقنــط ، قويا لا يضعــف ، شجاعا لا يجبــن ، ثابتا لا يتزعزع ، صامدا لا يتراجع ، متماسكا لا يتفرق ، يتحلى بارادة القتال ويثق بنصر الله .

ان العودة الى الله ، هى الدواء الناجع للنفوس المريضــة التى تتأثر أو تأثرت بالحــرب النفسية التى تشنها اسرائيل ومن وراء اسرائيــل من دول الاستعمار على العرب خاصــة وعلى المسلمين عامة ، لتنهــار معنوياتهم ، ويستسلموا للأمر الواقع ..

ان العودة الى الله ، تجعل من العربى المسلم ، قوى المعنويات دوما ، وتجعله يشعر بأنه فى خير دوما ، لأن الاسلام يأمر باعداد متطلبات النصر . فما أثر الاسلام فى النصر ؟ ذلك ما ستقرأه فى المقال القادم باذن الله .

---

(١) الآية الكريمة من سورة آل عمران (٣ : ١٣٩) .
(٢) الآية الكريمة من سورة آل عمران (٣ : ١٥٣) .
(٣) الآية الكريمة من سورة الزمر (٣٩ : ٦١) .
(٤) الآية الكريمة من سورة آل عمران (٣ : ١١٣) .
(٥) الآية الكريمة من سورة الانعام (٦ : ١٥٣) .
(٦) الآية الكريمة من سورة آل عمران (٣ : ١٠٣) .
(٧) الآية الكريمة من سورة الحجرات (٤٩ : ١٠) .
(٨) الآية الكريمة من سورة النساء (٤ : ٨٣) .
(٩) الآية الكريمة من سورة الاحزاب (٣٣ : ٦٠) .
(١٠) الآية الكريمة من سورة الحجرات (٤٩ : ٦) .

الاسلام دين الحرية والكرامة

للدكتور وهبه الزحيلى

جامعة دمشق

ان كرامة الانسان وحريته همـا أعز مقومات وجوده فى هذه الحيـاة ، وأسمى شىء لديه ، بل هما مصدر قوته وعزته وفخاره ، والمفجر لطـاقته ، والباعث لحيويته ونشاطه ، والسر فى تضحيته وجهاده ، فاذا أهينت الكرامة الانسانية واعتدى على الحرية الشخصية ، هانت الدنيا فى ناظرى كل مخلوق ، فلا أمل فى العيش ، ولا طعم للحياة ، ولا سعادة للفرد والجماعات .

والعرب فى عهودهم الاخيرة ، حينما صبوا حميم غضبهم ، وشديد بأسهم على المستعمرين ، وأعلنوا مقاومتهم للاستعمار ، وتحطيم قيوده وأغلاله فى كل مكان ، استقوا هذه المعانى مما عرف عن طبيعتهم التى تأبى الذل والصغار ، وتدين بالاباء والشمم ، ومما ورثوه عن أسلافهم العظام الذين أجج فيهم الاسلام عاطفة الاباء ، ونظمها لهم واعتبرهم أعز العالمين ، مقررا ذلك فى قرآنه المجيد : « ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون » ومعلنا للأجيـال الحاضرة والغابرة مبدأ احترام الانسانية ، وتكريم البشرية فى قوله سـبحانه : « يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم » ، وفى قوله عز وجل : « ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبـات وفضلنـاهم على كثير ممن خلقنـا تفضيلا » .

تعنى هذه الآية ان الله سبحانه ، كرم الانسان بالعقل والتفكير ، حتى سخر له كل شىء فى الكون ، كالمـاء والهواء والاثير ، وكل ما فى السماوات والارض ، وكرمه فى خلقـه السوى ، وقامته المعتـدلة ، وكرمه بالمسئولية والتكليف وارسال الرسل عليهم الصلاة والسلام . ومن انواع التكريم المـأكل والملبس ، وفضله على كثير ممن خلق الله تفضيلا .

ومن مقتضيات هذه الكرامة أنه لا يصح عقلا ولا شرعا ولا قانونا ان يتعرض امرؤ للسب والشتم من قبل الآخرين ، أو يكون موضعا لجلد الجلادين ، وسياط الظالمين ، او توقيع العقوبات التأديبية بدون حق ولا برهان ، فكل متهم برىء حتى تثبت ادانته ، كما هو معروف فى طبائع الاشياء وابسط المبادىء الشرعية والقانونية .

ومن حرص الشرع الحكيم على كرامة الانسان أنه يربى فيه عزة النفس والأنفة فى طلب الرزق والحوائج ، فيقول عليه الصلاة والسـلام : « اطلبوا الحوائج بعزة الأنفس ، فان الامور تجرى بالمقادير » ويقول الرسول صلى الله

عليه وسلم أيضا : « ان روح القدس نفث فى روعى أن نفسا لن تموت حتى تستكمل أجلها ، وتستوفى رزقها ، فاتقوا الله وأجملوا فى الطلب ، ولا يحملنكم ابطاء الرزق على أن تطلبوه بمعاصى الله تعالى ، فان الله تعالى لا ينال ما عنده الا بطاعته » ، ولهذا المعنى وتطمينا للنفوس البشرية ، وزجرها عن اليأس والقنوط والجزع ، قال تعالى : « وفى السماء رزقكم وما توعدون ، فورب السماء والارض انه لحق مثلما أنكم تنطقون » .

ومن هنا أحب الله تعالى معالى الامور ، وكره سفاسفها ، ونبه الى أن يد المعطى أفضل من يد المستعطى ، فقال صلى الله عليه وسلم : « اليد العليا خير من اليد السفلى » وقال أيضا : « المؤمن القوى خير وأحب الى الله تعالى من المؤمن الضعيف ، وفى كل خير » ، وحرم الاسلام السؤال والاستجداء من غير حاجة ، واعتبره مسقطا للحياء ومزيلا للبهاء : « ما يزال الرجل يسأل حتى يأتى يوم القيامة وليس فى وجهه مزعة من لحم لأن يأخذ أحدكم حبله ثم يغدو الى الجبل فيحتطب ، فيبيع ، فيأكل ، ويتصدق ، خير له من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه » .

وقد تضافرت الشرائع السماوية والوضعية على حماية كرامة الانسان ، فقررت عقوبات مختلفة على الحط من الكرامة ، واساءة السمعة ، وخدش الاعراض ، وانتهاك الحرمات ، وقذف الاحرار . كما أن الأمة ممثلة فى الدولة محظور عليها أن تستخدم وسائل غير لائقة بكرامة الانسان فى معاقبة المتهمين والمخالفين .

والحرية من صميم الحياة الانسانية ، وقد صانها الاسلام لكل فرد ، على الا يمس حقوق الآخرين ، أو مستلزمات النظام العام ، لأن الحرية فى الواقع ليست مطلقة فى كل النظم والدساتير ، وانما هى كما يعرفها فقهاء القانون الدستورى : قدرة الفرد على ممارسة اى عمل لا يضر الآخرين : فاذن هى مقيدة بشرط عدم الاضرار بأحد من النـــاس ، والا اصبحت الحرية معول هدم وأداة تخريب ، ورمزا على الفوضى .

وللحرية أنواع : أهمها : حرية التملك ، والقول أو الرأى ، والاجتماع وتكوين الجمعيات ، والفكرة والعقيدة . وقد أعلن الاسلام صيانته لهذه الحريات جميعها منطلقا من مبدأ واحد : هو مبدأ تحرير الانسان من ربقة العبودية لغير الله وحده ، وتخليصه من قيود الخرافات والاوهام ، وتأليه الاشخاص ، وعبادة المادة فكل ذلك يتلاشى أمام قوة الله وجبروته وعزته وسلطانه . قال تعالى : « وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ، ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة ، وذلك دين القيمة » .

ويهمنا أن ننوه بما قدسه الاسلام من حرية الفكر والرأى ، فقد حارب الاسلام التعصب الاعمى ، والتقليد المقوت ، وأطلق العنان للعقل البشرى ، ليفجر المواهب الكامنة فيه ، والطاقات الموفورة لديه ، فى سبيل العلم والادب والصناعة والاختراع ، والتجديد فى كل نواحى الحياة الحرة الكريمة ، فلا شىء أقتل للعقل من العيش فى سراديب الظلم والعبودية ، ولا أشد امتهانا لكرامة الانسان من الحياة فى دياجير الجهل والطغيان ، وأى حياة للحرية بين الجمود والتقليد ، وهل يمكن للمجتمع أن يشعر بالسعادة ، اذا لم ترفرف أعلام الحرية فى سمائه ؟

وكان من علائم حرية الفكر ان الرسول صلى الله عليه وسلم كان يجتهد في الأقضية ، والمصالح الدنيوية ، وتدابير الحرب ونحوها ، وهذا جائز له باتفاق العلماء ، بل ان له في رأى اكثر الاصوليين أن يجتهد في الاحكام الشرعية والقضايا الدينية فيما لا نص فيه ، بدليل اذنه لجماعة من المنافقين في التخلف عن غزوة تبوك ، فقد كان ذلك عن اجتهاد ، ولو كان الاذن عن وحى لم يعاتبه الله في قرآنه المجيد : « عفا الله عنك لم اذنت لهم » . وهناك مثل آخر ، وهو قبول الرسول عليه السلام الفداء من أسرى بدر قبل ان يتوفر له شرط الأسر المتطلب للقوة والبأس في الارض ، ثم نزل الوحى مصححا هذا الاجتهاد في قوله تعالى : « ما كان لنبى ان يكون له أسرى حتى يثخن في الارض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم . لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم » .

وقد وقعت اجتهادات اخرى من الرسول صلى الله عليه وسلم في ميدان الاحكام الشرعية ليس هنا مجال تفصيلها .

كذلك اطلق الاسلام للناس حق مناقشة الرسول صلى الله عليه وسلم الرأى ، بل ومجادلته فيه ، كما في قصة خولة بنت ثعلبة التى ظاهر منها زوجها ، وافتاء الرسول بتحريمها عليه ، ثم نزول أوائل سورة المجادلة بتشريع كفارة الظهار ، فقال سبحانه : « قد سمع الله قول التى تجادلك في زوجها وتشتكى الى الله . والله يسمع تحاوركما ان الله سميع بصير » الآيات .

وهناك مواقف كثيرة للصحابة مع الخلفاء الراشدين ، كانت تمثل أروع مظاهر حرية الرأى ، مثل موقف المرأة التى ناقشت عمر بن الخطاب في مسألة تحديد المهور قائلة له : « أيعطينا الله وتحرمنا أنت ؟ » لأن الله تعالى يقول : « وآتيتم احداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيئا أتأخذونه بهتانا واثما مبينا » ، فلا يجد عمر مناصا من الاذعان لرأى المرأة ضاربا المثل في الخضوع للحق بقوله : « أصابت امرأة وأخطأ عمر » .

وقد وردت أحاديث كثيرة في توطين النفس على ما تراه حقا ، وفي الحث على حرية الرأى والجهر بها ، كما في قوله صلى الله عليه وسلم : « لا يكن احدكم امعة يقول : أنا مع الناس ، ان أحسن الناس أحسنت ، وان أساءوا أسأت ، ولكن وطنوا أنفسكم ان أحسن الناس أن تحسنوا ، وان أساءوا أن تجتنبوا اساءتهم » .

وهناك أثر عن ابن مسعود يمثل قوة الرأى العام وهو قوله : « ما رآه المسلمون حسنا فهو عند الله حسن ، وما رآه المسلمون قبيحا فهو عند الله قبيح » . وهذا لا يكون الا في ظل حرية الرأى .

حرية العقيدة

ومن الضرورى أن نشير أيضا الى أن الاسلام سبق مختلف الدساتير والنظم الحديثة في مناداته بحرية العقيدة أو الحرية الدينية . فباعتبار ان الاسلام دين الفطرة كان الاكراه على الدين ممنوعا ، وهذا من أبرز مظاهر حرية الانسان ، ذلك لأن الدين أمر لصيق بالقلب والعقل ، فلا مجال لأحد أن يفرض سلطانه في

الزام الناس بعقيدة معينة ، بل وان كل محاولة فى هذا السبيل تعتبر فاشلة ، ولا أثر لها فى الواقع .

وقد وردت آيات كريمة فى تقرير مبدأ الحرية الدينية منها قوله سبحانه : « لا اكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم » ومنها قوله عز وجل : «ولو شاء ربك لآمن من فى الارض كلهم جميعا أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين » ، وقوله تعالى : « لست عليهم بمصيطر » « ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن » « ولو شاء ربك لجعل الناس امة واحدة ولا يزالون مختلفين » « وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر ... » .

ولكن قد يقول قائل : ان هذه الآيات منسوخة بآية القتال : « وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة » « واقتلوهم حيث وجدتموهم » ولكن هذا القول بعيد عن المنطق والواقع ، وكنموذج لهذا الخلاف نعرض أقوال العلماء فى الآية الاولى « لا اكراه فى الدين » فهل هى محكمة أو منسوخة ؟

هذه الآية التى هى امر في صورة الخبر اختلف فيها العلماء على ستة أقوال : فقال بنسخها سليمان بن موسى وغيره ، لأن النبى صلى الله عليه وسلم اكره العرب على دين الاسلام ، وقاتلهم ولم يرض منهم الا الاسلام ، لذا فانه يجب أن يدعى جميع أمم الارض الى الدخول فى الدين الحنيف — دين الاسلام ، فان أبى أحد منهم الدخول فيه أو لم يبذل الجزية قوتل حتى يقتل ، وهذا معنى الاكراه . قال الله تعالى : « ستدعون الى قوم أولى بأس شديد تقاتلونهم أو يسلمون » ، والناسخ لآية « لا اكراه » كما يرى هؤلاء هو قوله عز وجل : « يأيها النبى جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم » أو « يأيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة واعلموا أن الله مع المتقين » ، وفى الحديث الصحيح : « عجب ربك من قوم يقادون الى الجنة فى السلاسل » يعنى الاسارى ثم يسلمون .

وقال قتادة والضحاك : ليست آية الاكراه بمنسوخة ، بل هى خاصة بأهل الكتاب الذين يبذلون الجزية ، والذين يكرهون : هم أهل الاوثان فهم الذين نزل فيهم « يأيها النبى جاهد الكفار » ودليل هذا الرأى ما رواه زيد بن أسلم عن أبيه قال : سمعت عمر بن الخطاب يقول لعجوز نصرانية : أسلمى أيتها العجوز تسلمى ، ان الله تعالى بعث محمدا صلى الله عليه وسلم بالحق ، قالت : أنا عجوز كبيرة ، والموت الى قريب ، قال عمر : اللهم اشهد ، ثم تلا : « لا اكراه فى الدين » الآية .

وممن قال : انها مخصوصة ابن عباس ، قال : كانت تكون المراة مقلاتا (وهى التى لا يعيش لها ولد) فتجعل على نفسها ان عاش لها ولد أن تهوده ، فلما أجليت بنو النضير ، كان فيهم كثير من أبناء الانصار ، فقالوا : لا ندع أبناءنا فأنزل الله تعالى : « لا اكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى » الآية ، وهذا قول سعيد بن جبير والشعبى ومجاهد .

وقال أبو جعفر النحاس : قول ابن عباس فى هذه الآية أولى الاقوال لصحة اسناده ، وأن مثله لا يوجد بالراى ، فلما اخبر أن الآية نزلت فى هذا أوجب أن يكون أقوي الاقوال ، وأن تكون الآية مخصوصة نزلت في ذلك ، وحكم أهل

الكتاب كحكمهم . (أى كحكم بنى النضير الذين نزلت فيهم الآية) ، جاء فى كتاب الرسول الى أهل اليمن « من كره الاسلام من يهودى أو نصرانى ، فانه لا يحول عن دينه وعليه الجزية » .

وأرجح الاقوال عندى أن الآية ليست بمنسوخة ولا مخصوصة ، اذ أن الآثار التى استند اليها المخصصون ليست قاطعة الدلالة على التخصيص ، لأن النص القرآنى عام ، وافراد فرد من العام بحكم العام لا يخصصه كما يقول الاصوليون ، قال الامام الرازى فى تفسيره الكبير : « انه تعالى لما بين دلائل التوحيد بيانا شافيا قاطعا المعذرة قال بعد ذلك : انه لم يبق بعد ايضاح هذه الدلائل عذر للكافر فى الاقامة على كفره ، الا أن يقسر على الايمان ويجبر عليه ، وذلك مما لا يجوز فى دار الدنيا التى هى دار الابتلاء ، اذ فى القهر والاكراه على الدين بطلان معنى الابتلاء والامتحان ، ونظير هذا قوله تعالى : « فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر » ، وقال فى سورة أخرى : « ولو شاء ربك لآمن من فى الارض كلهم جميعا أفانت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين » ، وقال فى سورة الشعراء : « لعلك باخع نفسك — أى مهلكها — أن لا يكونوا مؤمنين . ان نشأ ننزل عليهم من السماء آية ، فظلت أعناقهم لها خاضعين » .

ومما يؤكد هذا القول أنه تعالى قال بعد نزول هذه الآية : « قد تبين الرشد من الغى » يعنى ظهرت الدلائل ، ووضحت البينات ، ولم يبق بعدها الا طريق القسر والالجاء والاكراه ، وذلك غير جائز » ا هـ كلام الرازى .

وبمثل هذا قال ابن كثير والطبرى والجصاص وأبو حيان التوحيدى ويؤيدهم أنهم ذكروا أن سبب نزول هذه الآية فى قوم من الانصار ، ولكن حكمها عام . عن ابن عباس قال : « نزلت فى رجل من الانصار من بنى سالم بن عوف يقال له : الحصينى ، كان له ابنان نصرانيان ، وكان هو رجلا مسلما ، فقال للنبى صلى الله عليه وسلم : ألا أستكرههما فانهما قد أبيا الا النصرانية ، فأنزل الله فيه ذلك (!!) ثم ان جملة « قد تبين الرشد من الغى » كأنها كالعلة لانتفاء الاكراه فى الدين .

وقال ابن تيمية فى آية « لا اكراه » : جمهور السلف على أنها ليست منسوخة ولا مخصوصة ، وانما النص عام ، فلا نكره أحدا على الدين ، والقتال لمن حاربنا ، فان أسلم عصم ماله ودمه ، واذا لم يكن من أهل القتال لا نقتله ، ولا يقدر أحد قط أن ينقل أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أكره أحدا على الاسلام ، لا ممتنعا ولا مقدورا عليه ، ولا فائدة فى اسلام مثل هذا ، لكن من أسلم قبل منه ظاهر الاسلام » .

وهكذا يتبين أن دعوة الاسلام ترتكز على الحرية والكرامة فهى دعوة الحرية فى أصلها ، قامت لتحرير الناس من عبودية بعضهم لبعض الى عبادة الله الواحد الاحد ، وهى فى منشئها جاءت لاعطاء كل انسان حقه فى الكرامة ، بعد أن كان الناس عبيدا أذلاء تحت سلطان الغاشمين ، وقد كانت حروب الاسلام من أجل الدفاع عن حرية العقيدة لقوله تعالى : « أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وأن الله على نصرهم لقدير الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق الا أن يقولوا ربنا الله ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوى عزيز » .

العلم يؤكد الايمان ويثبت القلوب

للدكتور جمال الدين الرمادى

« قل انظروا ماذا فى السموات والارض » .

هذه آية كريمة تدل على قدرة الله عز وجل كما تدل على عظمته وجبروته ، وهناك كثير من الحقائق العلمية الطريفة فى هذا المضمار نحب أن نعرضها على انظار القراء لتكون آية ناطقة على قدرة الخلاق العظيم .

اننا لو تصورنا أن هناك خطا حديديا يمتد بين الأرض والقمر . ويجرى فوقه قطار سريع يمضى بسرعة اربعين ميلا فى الساعة ويقطع نحو الف ميل فى اليوم والليلة ، فانه سيقطع المسافة الموجودة بين القمر والأرض في نحو ٢٤٠ يوما . أو بتعبير آخر فى مدى ثمانية أشهر بالتمام والكمال ، وذلك اذا اعتبرنا أن القطار ينطلق سريعا لا يقف عند محطة من المحطات . ولا يصيبه طارىء من الطوارىء ، ولا يعوقه اصلاح فى الطريق انما يواصل سيره ليلا ونهارا ، صباحا ومساء !!

فاذا ما شرعنا فى هذه الرحلة عند افتتاح المدارس في شهر سبتمبر — كما هي العادة — فاننا ننتهى من رحلتنا فى شهر ابريل ، وعند هذا الشهر تنبقى لدينا أربعة اشهر حتى تضاف الى أعمارنا سنة حديثة !!...

ولا يسخن سطح القمر الا اذا سطعت عليه الشمس . كما انه يبدو باردا اذا ما انحسرت عنه الشمس . فضلا عن أن ضوء القمر الذى يتلألأ فى السماء فيبهر الانظار . ويسحر الالباب مستمد من الشمس ؛ وينعكسه القمر على سطح الارض .

والطريف أن الارض التى نعيش عليها ونأكل من رزقها تعتبر بالنسبة للقمر قمرا أيضا ، وبما أن الارض اكبر حجما من القمر فان نور الارض

على القمر يبلغ فى شدته أربع عشرة مرة مثل نور القمر على الارض .

واذا تصورنا أننا نركب نفس القطار السابق لينطلق منها الى الشمس فاننا لن نستطيع الوصول اليها لسبب بسيط وهو اننا سوف نكون فى دنيا العدم وتكون ارواحنا قد صعدت الى الملأ الأعلى ، فان أعمارنا لا تكفى للوصول الى الشمس فى هذا القطار ، فنموت فى بداية هذه الرحلة الطويلة !

ومن هنا يجب أن نفكر فى وسيلة اخرى للسفر الى الشمس ، وغير خاف ان الطائرة لا تتمكن ايضا من الوصول اليها على جناح السرعة !

فما رأيك اذن فى قنبلة المدفع ؟!.

انه اذا انطلقت قنبلة المدفع بسرعة تبلغ نحو العشرين أو الثلاثين ميلا فى الدقيقة دون تفاوت أو اضطراب فانها تقطع ثلاثين الف ميل فى اليوم ، وعلى هذا القياس تصل الى هناك فى اكثر من اسبوع أو فى ثمانية أيام على وجه التحديد ! هذا اذا كانت سرعة طلقة المدفع عشرين أو ثلاثين ميلا فى الدقيقة أما اذا كانت سرعتها سرعة عادية فانها لن تصل الى الشمس الا بعد مضى عدة سنوات !

ويقول العالمان الكبيران وليم وستيلا نيدا : ان القمر والشمس عالمان عجيبان يموجان بالعجائب والأسرار ، وكلها تدل على عظمة الخالق وعلى قدرة البارىء المصور وأن حرارة الشمس تبدو رهيبة الى حد بعيد . فاذا ما كانت لديك ذراع يبلغ طولها نحو ثلاثة وتسعين مليون ميل ثم جلست فى حديقة منزلك ورفعت يدك الى الفضاء نحو الشمس فان يدك سوف تحترق لا محالة واذا كان الالم يقطع خمسة اقدام فى جزء على عشرين من الثانية فان اصبعك يحترق قبل أن تشعر بالالم لأنه سيصل اليك بعد جزء على مائة من الثانية بعد أن تحترق .

وفى تعبير آخر نستطيع أن نقول موضحين أن عليك أن تنتظر سنة ولا تشعر بالالم بل قد تنتظر عشر سنوات ولا تشعر بالألم لأن الامر يتطلب أن تنقضي مائة وخمسون سنة حتى يصل الم الحريق اليك رغم ما فى عذاب الحريق من الم مرير يصيب الجسم والنفس جميعا .

واذا عرف القارىء أن سرعة الضوء تبلغ نحو ١٨٦٫٤٠٠ ميل فى الثانية فلا بد ان يعرف انه يصل الينا فى نحو ثماني دقائق وربع الدقيقة . أى أن الضوء لا بد أن يستغرق مدة من الوقت من اجل الوصول الينا . وقد لا نشعر بهذا الفرق فى الزمن بالنسبة الى ضوء الشمس ولكننا نشعر به فى حياتنا اليومية ، فلو فرضنا أنك اضأت مصباح الغرفة فى الليل لتقوم بعمل ما فانك لا بد أن تنتظر ثماني دقائق وربع الدقيقة من اجل أن يتوهج ضوء المصباح !

وهذا الفرق بين موقع الشمس بالنسبة الينا كما يبين قدرة الخلاق العظيم فى خلقه فانه اذا ما منعت عنا الشمس واختفت من حياتنا اضواؤها المنعشة فسرعان ما يتحول الهواء الجوى الذى يحيط بنا الى درجة التجمد ، وفى هذه الحالة يتعذر علينا التنفس وتصيب العالم كارثة كبرى يكون فيها فناء البشر جميعا .

وتبعد الشمس نحو ثلاثة وتسعين

مليون ميل عن الأرض . وفى هذا البعد وهذه المسافة حكمة الهية كبيرة فلو فرض ان هذه المسافة اختصرت الى النصف فاننا نتمكن من أن نشعل الورق بمجرد تعريضه لأشعة الشمس وفى هذا خطر داهم على هذا العالم لانه يسبب الحرائق الجهنمية التى تحصد الناس حصدا ، وتأكل الأخضر واليابس . ولا تذر شيئا حيا على الأرض !

والعلماء يؤمنون بالجاذبية . فالارض تجذب الاشياء اليها . وقد تنبه اسحق نيوتن الى نظرية الجاذبية منذ ان كان جالسا فى الحديقة بمفرده ورأى التفاحة تسقط على الأرض . ومنذ ذلك الوقت نادى بقانون الجاذبية وتبعه العلماء فيما بعد .

ولكننا يجب أن نعلم أن الشمس تجذب الاشياء اليها بقوة تفوق قوة الارض بسبع وعشرين مرة . ولهذا السبب فان كل شيء على الشمس يزيد وزنه سبعا وعشرين مرة عن وزنه على الارض . ومن هنا سيبلغ وزن الشخص العادى على سطح الشمس اكثر من طنين !

وغير خاف أن ثقل وزنه سوف يعوقه عن الحركة ومزاولة النشاط الذى يقوم به على وجه الارض ! بل انه قد لا يستطيع المشى ويظل قابعا فى مكانه لا يقوى على الحركة !

ومن الحقائق العلمية المفيدة للانسان ان ثلاثة أرباع الارض يغطى سطحها الماء ، والربع فقط يابس . ومن المعروف ان الانهار تحمل مياه الامطار الى البحر ، وفى هذه الحالة تكون مياه الأمطار قد اذابت الملح الموجود فوق قنن الجبال وسفوحها وتشبعت به وجرفته معها الى البحر، وحينما يتبخر ماء البحار ويرتفع فى شكل سحب فى السماء تزجيها الرياح فان الماء يتخلف عنه الملح فى البحر وعلى هذا القياس يمكن أن نقول ان نسبة الملح فى ماء البحر تكون بمعدل ثلاثة أرطال ونصف الرطل من الملح فى كل مائة رطل من ماء البحر ، ومن الامور الطريفة التى يجب ان نعرفها أن ماء البحر اثقل من الماء العذب الذى يجرى فى الانهار والبحيرات ، كما انه من السهل السباحة فى الماء الملح عن الماء العذب .

والثلج فى البحر اثقل من ثلج الماء العذب . ولذلك كان من السهل ان يطفو وأن يحمل زلاقات الأسكيمو والمكتشفين فضلا عن أن قطع الثلج الملحة يكسرها المد والجزر ثم تتجمع حتى تصبح جبلا ثلجياهائلا ، وفىبعض الاحيان قد يبلغ عرض الجبل الثلجى نحو ثلاثين ميلا ، وفى هذه الحالة يشكل خطرا جسيما على الملاحة كما حدث للباخرة « تيتانك » التى تحطمت وابتلعها اليم وهى فى طريقها من سوثهمبتون الى نيويورك فى ١٤ ابريل عام ١٩١٢ وقد ذهب ضحية هذا الحادث اكثر من الف وخمسمائة راكب كانوا يمرحون ويهللون فوق ظهر الباخرة الحزينة !

ومن العجائب الموجودة فى البحر وتدل على قدرة الخلاق العظيم ان البحر يضم بين جنباته انواعا عجيبة من الاسماك والحيوانات البحرية ، ويكفى ان نقول انه يضم بعض الحيتان التى يبلغ طولها فى بعض الاحيان نحو خمسين أو سبعين قدما أو أكثر

من ذلك . ويستطيع الحوت بضربة واحدة من ذيله أن يحطم مركبا كبيرا .

ويمكنك ملاحظة وجود الحوت اذا ما كنت على ظهر باخرة فى رحلة بحرية ولاحظت انطلاق فقاقيع مائية كبيرة تتبعثر على سطح الماء ، فان هذه الفقاقيع تكون ناجمة عن أنفاس الحوت تحت سطح الماء وحركة الزفير والشهيق !

وفى البحر أنواع من الحيوانات البحرية والاسماك ، وبعض هذه الاسماك يرسل ضوءا لونه أحمر أو ضوءا لونه أخضر من بقعة مضيئة تحت عينيه ، ويقال أن هذا النوع من السمك له القدرة على اضاءة عينيه ، أو اطفائهما ، وحين تسبح هذه الاسماك تشبه قافلة من البواخر المضيئة أو سلسلة من قاطرات السكك الحديدية المضيئة فى الليل .

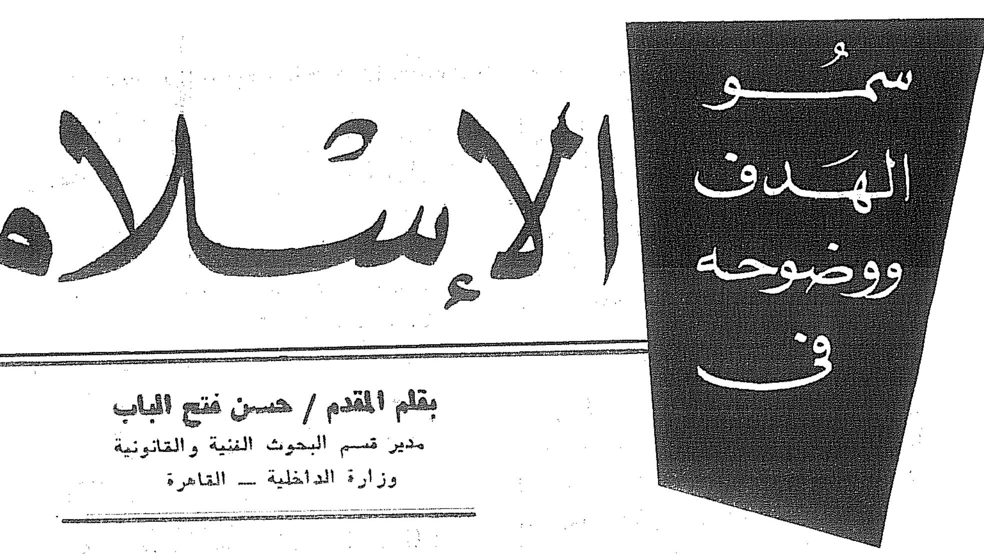
وفى أعماق البحار أيضا يوجد السمك الرعاش الذى يمتاز بطاقة كهربائية عجيبة قد تحدث الشلل فى الاسماك التى تقترب منها مهما كانت أكبر منها حجما كما تستخدم هذه الطاقة الكهربائية فى اقتناص فرائسها .

ويستطيع الحيوان أن يعيش على عمق ثلاثة أميال أو يزيد عن سطح الارض والسبب فى ذلك أن أجسام الحيوانات تكون مسامها جميعا ممتلئة بالماء ، وهذا الامر ينقذها من الموت اذ أن الضغط قرب سطح المحيط عظيم للغاية ، ولبيان ذلك نقول أنك لو أمسكت بقطعة من الخشب وأدليتها الى نهاية قاع المحيط ثم أخرجتها مرة ثانية فانها تفقد فى هذه الحالة كل خواص الخشب وتبدو وكأنها استحالت الى قطعة من الحجر سرعان ما تهبط الى القاع ولا تطفو على سطح الماء لأن كل خلاياها تكون قد انفجرت وتفتحت وامتلأت بالماء !!

ولذلك كان الخشب المستخدم فى بناء السفن الغارقة بعد انتشالها لا يصلح بالمرة لاستخدامه مرة أخرى فى بناء باخرة أخرى ...!!

هذه حقائق علمية قد تبدو كأنها ضرب من الخيال .. ولكنها فى نفس الوقت تدل على قدرة الله عز وجل وعلى عظمة الخلاق العظيم .

- لا شىء يستحيل على القلب الشجاع .
- ليس النبوغ الا قدرة على الصبر .
- الممالك بلا عدل غابات ملئت باللصوص .
- من خاف من حفيف الشجر لا يدخل الغابة .
- عجبك بمنصبك دليل على انك اقل منه .



بقلم المقدم / حسن فتح الباب
مدير قسم البحوث الفنية والقانونية
وزارة الداخلية ــ القاهرة

تتعدد النظريات التى تبحث فى مقومات القيادة الناجحة ، فتعزو احدى هذه النظريات ما يمتاز به القائد من صفات الى القوة النفسية الواحدة ، وتعزو الاخرى مزاياه الى القوى النفسية العامة ، على حين تذهب النظرية الثالثة الى أن صفات القائد تصدر عن القوى النفسية الخاصة بنوع معين من القادة . ولئن تقاربت هذه النظريات الثلاث فى مضمونها النفسى ، فان ثمة نظرية رابعة تنحو منحى مغايرا فتعزو جوهر صفات القائد الى القوة الجسمية .

وفى رأينا أن أفضل نظريات القيادة وأولاها بالفهم والدراسة هى تلك التى تقدم لنا تفسيرا صحيحا قوامه التحليل النفسى والاجتماعى لما يمتاز به القادة من قدرة فذة فى تآلف الأفراد والجماعات حتى يصبح الواحد هو الكل والكل هو الواحد .

ومن ثم فقد آثرنا فى هذا البحث أن نأخذ بالنظرية الاجتماعية التى تقول ان علاقة القائد بالمجتمع هى علاقة اندماج وتكامل ، والقائد الحق هو الذى يستطيع بفضل مزاياه وأخلاصه أن يحوز تقدير أعدائه قبل أصدقائه .

وفى ضوء هذا المفهوم للقيادة الناجحة حددنا المعايير والصفات التى يمتاز بها القائد بمعناه الحقيقى ، وأولى هذه الصفات هى الانتماء الى الجماعة . أما المعيار الثانى الذى يقاس به القائد الناجح فهو سمو الهدف الذى يدعو اليه ووضوحه ، وسوف نتناول فيما يلى هذا المقوم الأساسى للرسالة السماوية التى بعث بها محمد صلى الله عليه وسلم ، ونقدم الأسانيد والحجج العقلية والنقلية التى تجعل هذا المقوم محورا تدور حوله سائر مقومات القائد والقيادة فى الاسلام .

اذا استعرضنا المجتمع البشرى فى المرحلة التى سبقت ظهور الاسلام لاحظنا أن المظالم كانت تكتنفه من كل جانب . فمن فارس كانت تنثال آلام الانسان وضيعته وتمزقه تحت وطأة الحكم المطلق المستبد ، فلا حرية ولا عدالة ولا رخاء ، حتى لقد دعا « مانى » فى القرن الثالث الميلادى الى حياة العزوبة ، فحرم النكاح استعجالا للفناء ، ثم قام بعده « مزدك » فأعلن ــ كما أورد الشهرستانى فى كتابه الملل والنحل « أن الناس ولدوا سواء فينبغى أن يعيشوا سواء لا فرق بينهم . ولما كان المال والنساء مما حرصت عليه النفوس فقد احل النساء وأباح الاموال وجعل الناس شركة فيها كاشتراكهم فى الماء والنار والكلأ » .

ويقول (البروفسير / أرتهرش) « كان المجتمع الايراني مؤسسا على اعتبار النسب والحرف ، وكان بين طبقات المجتمع هوة واسعة لا يقوم عليها جسر ولا تصل بينها صلة . وكانت الحكومة تحظر على العامة أن يشترى أحد منهم عقارا لأمير أو كبير . وكان من القواعد السياسية الساسانية أن يقنع كل واحد بمركزه الذى منحه اياه نسبه ، ولا يستشرف لما فوقه . ولم يكن لأحد أن يتخذ حرفة غير الحرفة التى خلقه الله لها . وكان ملوك ايران لا يولون وضيعا فى نسبه وظيفة من وظائفهم . وكان العامة كذلك طبقات متميزة بعضها عن بعض تميزا واضحا ولكل واحد منهم مركز محدد فى المجتمع » .

وفى الدولة الرومانية كان اذلال الشعوب ، وفرض الضرائب الباهظة عليها ، وتسلط الحكام وانغماسهم فى بؤرة الانحلال ، حتى كان الناس يضمرون الحقد والمقت لولاتهم ، ويؤثرون عليهم اية حكومة أجنبية . ويروى التاريخ أنه فى سنة ٥٣٢ ميلادية هلك ثلاثون ألف شخص فى العاصمة نتيجة الثورات والاضطرابات التى تفاقمت فى ذلك الحين . ويقول فى ذلك « سيل » : « لقد كان العدل يباع ويساوم عليه مثل السلع . وكانت الرشوة والخيانة تنالان من الأمة كل تشجيع » .

ويقول « جيبون » : « فى آخر القرن السادس وصلت الدولة الرومانية فى ترديها وهبوطها الى آخر نقطة ، وكان مثلها كمثل دوحة عظيمة كانت أمم العالم فى حين من الاحيان تستظل بظلها الوارف ولم يبق منها الا الجذع الذى لا يزداد كل يوم الا ذبولا » .

ويقول « الفرد ج. بتلر » : « ان الروم كانوا يجبون من مصر جزية على النفوس ، وضرائب أخرى كثيرة العدد ومما لا شك فيه أن ضرائب الروم كانت فوق الطاقة ، وكانت تجرى بين الناس على غير عدل » (١) .

وقد كان الشعب فى الدولة الرومانية ينفس عن نفسه حيال هذه المظالم بالثورة ، والنزوع الى الخلافات الجدلية والمناقشات اللفظية العقيمة ، حتى أصبح الجدل العقيم فى عالم اليوم يطلق عليه الجدل البيزنطى نسبة الى بيزنطة العاصمة القديمة للدولة الرومانية الشرقية .

تلك كانت احوال الشعوب فى ظل الدولتين الرومانية والفارسية قبيل ظهور الاسلام : وهما أعظم قوتين سياسيتين فى العالم فى ذلك الحين . ومن هنا كانت الحاجة ماسة الى رسالة اصلاحية تهز أركان القيم العتيقة الفاسدة وتقتلعها من جذورها ، ثم تستبدل بها قيما رشيدة صالحة .. وبعث محمد صلى الله عليه وسلم بهذه الرسالة العظمى ، رسالة ترمى الى تحرير البشرية بأسرها من العبودية ، ثم الانطلاق بها فى عالم الحق والخير والسلام والتقدم .

جاء محمد بعقيدة صحيحة خالدة ، عقيدة تتسع فى مضمونها لتشمل الدين والعلم والحضارة والحياة جميعا ، وتعالج شئون الحياة الجسدية ، كما تعالج أمور الحياة النفسية والعقلية والروحية ، عقيدة تترامى أبعادها حتى تشمل الناس جميعا فى كل عصر وكل أوان . عقيدة تمتاز بالنقاء والوضوح وملاءمة الفطرة الانسانية والطبيعة البشرية فى جانبها المشرق وهو العقل والوجدان السليم .

وتظهر أهمية تحديد الهدف ووضوحه فى الدعوة الاسلامية اذا لاحظنا أن القائد الحق لن يستطيع تحقيق رسالته ما لم تكن أهدافها محددة يسهل على

---

(١) الاسلام والمذاهب الاقتصادية المعاصرة للأستاذ ابراهيم محمد اسماعيل .

الناس فهمها واستيعابها ، فيميلون الى الايمان بها والتضحية فى سبيل تثبيتها .. ذلك لأن الهدف الواضح الذى ينبع من الحاجات الأساسية للانسان فى العيش الحر الكريم ، هو الذى يحرك الناس الى اللقاء ، وهو الذى يفرض على المجتمع توسيع دوائر هذا اللقاء ، حتى تندمج جميع قوى التحرر والثورة على القديم ، وتعجز القوى المعادية عن الوقوف فى طريق هذا الزحف .

ولقد كان الهدف من الرسالة التى جاء بها محمد صلى الله عليه وسلم محددا وواضحا ومستقيما ، لا عوج فيه ولا انحراف . فتحرير الانسان ، وتحريم استغلال القوى للضعيف ، وتحرير العقل البشرى من الخرافات والاباطيل ، وتحرير النفس من نزعات الشر وشهوات الحس — تلك الأهداف التى دعا اليها الاسلام — كلها أهداف طبيعية كطبيعة الوجود الانسانى نفسه . وفى ضوء هذه الاهداف المثالية التى تتفق مع واقع الفكر المتحرر المستنير حدد محمد القائد الأعظم للأمة الاسلامية طريقه هذا رغم كل الصعاب والعقبات ، وتلاحمت جهوده مع جهود أنصاره المؤمنين بالدين الحق لصنع عالم جديد وبناء غد باهر للانسان .

ان وحدة الهدف ووضوحه هى السبيل الى التوافق الفكرى والوحدة النفسية ، وهذا التوافق بدوره هو السبيل الى وحدة الجماعة ، وما تسفر عنه من قدرة خارقة على تحقيق المعجزات ، ولقد تحققت بفضل هذه الوحدة معجزة الاسلام بكسر قيود التحكم والطغيان ، والقضاء على التمييز الطبقى والعنصرى بين أبناء المجتمع فى شتى صوره وألوانه . فاسترد المغبونون والمظلومون حقوقهم ، واستعادوا حرياتهم ، وأصبح للحياة معنى جديد ، وأصبحت القوة والتجمع ووحدة الفكر والضمير أسلحة القلة من المسلمين الأوائل فى خوض معركة التغيير الكبرى بقيادة الرسول عليه الصلاة والسلام . فاختفت من حياتهم المعوقات ، وازدادت قدرتهم على الاندفاع بالعمل نحو آمال الانسان الكبرى فى العدل والكرامة والحرية .

وفى ظل هذا الهدف الاسلامى المحدد تمت أعظم اللقاءات وهى اللقاءات الفكرية بين النبى وصحبه ممن آمنوا برسالته ، هذه اللقاءات التى كانت الدعامة الكبرى لبناء المجتمع الاسلامى المتكامل لأن كل وحدة لا تقوم على أساس وحدة الفكر قد تصبح فى يوم وليلة عرضة للهزات والانتكاسات . وهذه اللقاءات أيضا هى المنبع الذى ازدادت منه الثروة الفكرية للجماعة الاسلامية فسارت فى طريقها — طريق العقيدة الحقة — تنيره وتعمقه حتى يصبح وصولها أعمق وأكثر رشدا . .

ولقد أنزل الله فى كتابه كثيرا من الآيات التى تحدد الهدف من دعوة الاسلام بأسلوب بين محكم ، وألفاظ واضحة رصينة ، منعا لما يجره غموض الهدف أو تعقيد العبارة من اختلاف فى التفسير والتأويل ، وما يؤدى اليه هذا الخلاف من جدل متشعب حول المحور الذى تدور عليه الرسالة وهو غايتها وهدفها . ولا شك أن اختلاف الناس مذاهب وشيعا وطوائف من شأنه أن يعرض وحدة المجتمع للمخاطر ويطمع فيه الأعداء ، فتسول لهم أنفسهم أن يسعوا — من خلال ماينكشف عنه الخلاف من ثغرات — الى تقويض بنيان المجتمع .

ولقد سبق أن أشرنا الى ما جرته المناقضات الجدلية العقيمة فى بيزنطة من تفكك اجتماعى ، وأحقاد فى النفوس . بل ان الدولة الاسلامية ظلت ردحا طويلا من الزمن تنعم بالوفاق والأمن فى ظل الهدف الواحد الواضح ، حتى اذا استشرت فيها المذاهب والنظريات أصيب الاسلام والمسلمون فى عصورهم المتأخرة بأفدح محنة تصاب بها الدول والشعوب ، وهى الانقسام فى الرأى ، نتيجة ما أثار به الجاهلون والذين فى قلوبهم مرض من ريب حول مفاهيم العقيدة وأهدافها

(البقيــة ص ٦٧)

زفرة على القدس

قومي الى الصلاة

وعادت الطيـــورُ في المســـاءْ
فلم تجـــد في القبـــة الضياءْ
ولا صـــدى الترتيل والدعـــاءْ
فهزت الاوتـــار بالنـــداءْ :
ياقـــدس ياحبيبـــة السمـــاءْ
قـــومي الى الصـــلاه
وبـــاركي الحيـــاه . .
ورددي التسبيـــح في المـــآذنِ
وأيقظي الأجراس في المـــدائنِ
وكـــبري لله . . لاتهـــادني
قـــومي الى الصـــلاه . .

★★★

لاتوقِـــفي الدعـاء للرحمـــنِ
مهما لقيت من أذى الشيطـــانِ
ردي اليه إثمـــه ، وقـــومي
وواصـــلى الحديث للنجـــومِ
فلم تـــزل فيك خطا الاســـراءِ
سابحـــة في الطهر والضيـــاءِ
ياقـــدس ياحبيبـة السمـــاءِ
قومي الى الصـــلاه
وبـــاركي الحيـــاه

★★★

الشاعر : محمود حسن اسماعيل

« مع القدس الحزينة ، وهي تذرف غضب السماء ، ويتضرم ترابها المكظوم بلعنة التاريخ ، على من أخرسوا فيها الدعاء ، ولوثوا طهر الضياء ... »

ولم تــــزل أسوارك الحزينــــة
تُصغي الى أقداسهــــا الدفينـــة
ولم تزل مناجيـــــاتُ الرُّسُــــلِ
في أفْقِكِ الطاهرِ منــــذ الأزل . .

مازال صوت الله في فضائِــــــكِ
والانبيـــــاءُ في صــــدى ندائكِ

قـومي الى الصــــــلاه
وبـــــاركي الحيـــــاه

* * *

قومي ومهما اشتدت الجــــــراحُ
فكل ليـــــل بعـــــده صباحُ
وكل هولٍ بعـــــده سكـــــينَةْ
تمحـــو ظلام البغْي والضَّغينـــةْ

وترجِـــــعُ الشفـــــاهْ
للشـــــدو ، والحيــــاهْ

قـــــومي الى الصـــــلاة والتسبيـــــح والدعـــــاءْ
ياقـــــدس ياحبيبـــــةً للأرض والسمـــــاءْ . .

قومي الى الصــــلاةْ

قومــــي . . . ! !

تاريخكم ... يا شباب الاسلام

الأستاذ احمد محمد جمال
عضو مجلس الشورى ــ مكة

هذا الحديث ، عن التاريخ الاسلامى ، الذى اتخذناه مهجورا ، موجه بصفة خاصة الى الشباب والطلاب ، فى الوطن الاسلامى كله .

وقد أثرت موضوعه ، استجابة لرغبة كريمة ، تفضل بها الأخ ، رئيس تحرير هذه المجلة المجاهدة .

ومن جهة أخرى كان الباعث عليه ، أو الحافز اليه أمرين :

الاول : ان بعض الكتاب العرب ، يرددون القول بان تاريخنا الاسلامى لم يكتب بعد .. ويعنون بهذه القولة الخاطئة أن الاسلوب الذى كتب به تاريخنا .. لا يغرى بقراءته ، فلابد اذن من اعادة كتابته .

الثانى : ان أجيالنا العربية المسلمة ، التى نسميها (صاعدة) تدير ظهرها للتراث الضخم الفخم ، الذى خلفه تاريخنا العربى الاسلامى المجيد ، وأورثتنا اياه حضارتنا الراشدة .

فأجيالنا هذه ، تضرب الذكر صفحا عن الافكار العربية الاسلامية ، وما تشرق به من مبادىء ومثل ونظريات .. سبقنا بها أشباهها ونظائرها من الافكار العصرية ، الواردة من غرب او من شرق ، على سواء .

انهم ــ أى الشباب والطلاب من عرب ومسلمين ــ يقولون عندما يكتبون أو يتحدثون .. قال أفلاطون. وقال شكسبير . وقال برناردشو . وقال روسو . وقال فرويد . وقال ديكارت . وقال طاغور . وقال سارتر وأمثالهم ــ ويعرضون عن قال الله وقال الرسول ، وقال عمر ، وقال ابن خلدون ، وقال الغزالى ، وقال أبو العلاء . مع أن العلماء والمفكرين العرب والمسلمين سبقوا غيرهم فيما اطلقوا من أمثال ، وما رسموه من نظريات ، وما سجلوه من آداب وتعاليم .

ونبدأ بالحديث عن الرأى القائل بأن تاريخنا لم يكتب بعد ..!

ان صاحب هذا الرأى يرد كل الانحرافات ، بكافة أنواعها والوانها ، التى نزلت بالعرب والمسلمين ، الى أن تاريخ حضارتهم العربية الاسلامية لم يكتب بعد ، أو انه كتب بأساليب لا تغرى احدا بقراءته أو الانتفاع به .

ويشير صاحب هذا الرأى الى تفسخ الاخلاق فى المجتمعات العربية والاسلامية ، وعدم اقبال الشباب فيها على دراسة تاريخه ، ومعرفة ماضيه ، والاقتداء بأسلافه فى المحافظة على روح العبادة وأعمالها

ويستدل بهذه المظاهر على تأثر الشباب بكون التاريخ الاسلامى لم يكتب بعد .

وقد صدق صاحب هذا الرأى ، فيما تحدث عنه من مظاهر الانحراف فى المجتمعات الاسلامية . وكان حديثه بذلك ينم عن غيرة وحسرة تشكران له ، كما كان الحديث نفسه يحمل بين كلماته الروائع استغاثة واستصراخا يدلان على احساس بالنكبة ، وشعور بالمسئولية الفكرية ، واهتمام بواجب النجدة والانقاذ .

ولكن اختلافى معه ما زال قائما ، من أجل تعليله لكل ظواهر ونتائج تخلى المسلمين عن حضارتهم المجيدة الرشيدة ، بكون تاريخهم لم يكتب بعد .

وسأشير بايجاز الى بعض الاسباب والعوامل التى تدل دلالة واضحة على عكس ذلك الرأى ، وتثبت أن تاريخنا لم يقرأ بعد ، وأنه مدون مكتوب لم يترك منه شىء ..

أولا : ان ما يقال من أن تاريخنا لا يستطيع الجيل الناشىء او الصاعد أن يقرأه ، لقدم أساليبه ، وغرابة معانيه ، وصفرة كتبه وأوراقه التى كتب عليها ، وسوء ترتيبه .. يدحض هذا الزعم ان تاريخ العروبة المسلمة قد اعيدت كتابته بلغة العصر الحديث وأسلوبه ، منذ سنوات عديدة مضت ممثلة فى مؤلفات العقاد ، وطه حسين ، ومحمد حسين هيكل ، وابو الحسن الندوى ، ومحمد أبو زهرة ، ومصطفى السباعى ، ومحمد الغزالى ، ومحمد يوسف موسى .. وأمثالهم ممن وضعوا أحسن الكتب عن التفسير ، والحديث ، والتشريع ، والتاريخ السياسى ، والنظريات الاقتصادية الاسلامية ، وعن الدراسات المقارنة بين مقررات الفكر الاسلامى ومقررات الفكر الغربى الحديث . بحيث لم تعد حجة المتذرين (بالكتب الصفراء) القديمة قائمة ..

ونضيف الى ذلك المجلات الشهرية الحديثة التى تصدر فى العالم الاسلامى ، ويعرض كتابها (تاريخنا) بكل فنونه العلمية والتشريعية والتربوية والاخلاقية والفكرية عرضا جديدا ، بأسلوب مفهوم — كالازهر — وحضارة الاسلام — والوعى الاسلامى — والبعث الاسلامى — والرابطة — ولواء الاسلام — والمجتمع — ودعوة الحق .. وغيرها مما لا تحضرنى أسماؤها الآن ، وهى كافية كل الكفاية فى اقناع الشباب الاسلامى بقيمة التراث العظيم الذى خلفه العرب والمسلمون من معارف ومبادىء وثقافات سبقت — كما أسلفنا — معارف الغرب ومبادئه وثقافاته ، واعتمد الغرب عليها فى سيره العلمى وتطوره الفكرى وتقدمه الحضارى .

ونذكر الى جانب الكتب والمجلات الحديثة التى عرضت التاريخ الاسلامى عرضا جديدا ، ميسور الفهم ، المقررات المدرسية فى العلوم العربية والاحاديث التاريخية .. فهى — الاخرى — قد ساهمت فى تقريب التاريخ الاسلامى ، وتيسير فهمه ، والتشويق الى مطالعته ودراسته .

ثانيا : ان تاريخنا مدون ومكتوب فى مطولات ومختصرات ولكل منهما فائدتها ونفعها ، ولها قراؤها الباحثون الدارسون على مهل وتفكير واستنباط ، أو المستعجلون المكتفون بالاعتماد على العابرين ، الملتمسون للاستدلال بآرائهم ونظرياتهم .

ثالثا : ان احجام الشباب ، أو حتى الشيوخ والكهول عن قراءة تاريخنا ، والاتعاظ به ، والانفعال بوحيه وهديه ، ليس حجة على الرداءة في كتابة التاريخ أو صياغته ، أو أنه غير كامل أو غير واضح ، وأنه محتاج الى كتابة جديدة .. فقد أسلفنا أن

تاريخنا مدون ومكتوب فى المطولات والمختصرات ، من ناحية ، ومن اخرى قد عرضه الكتاب المحدثون عرضا جديدا ، مع التحقيق والتصحيح ، والطبع الانيق ، ونشرته دور الطباعة فى العالم العربى كله ، وخاصة فى القاهرة وبيروت .

رابعا : ان الاحجام عن قراءة التاريخ الاسلامى ، هو نتيجة لتصرفات مؤسفة صنعها المسلمون انفسهم ، وخلقوها بايديهم .. اذ لم يوجه الآباء والمربون والمعلمون اهتمامهم المخلص الى توعية الطلاب تاريخيا واغرائهم بقراءة تاريخهم ، ومراجعة تراثهم الحضارى ، وحملهم تلقائيا على الانفعال بالامجاد الاسلامية السالفة .. حتى انصرفوا الى ملء فراغاتهم الطويلة العريضة بالاستماع الى الاذاعات ومشاهدة التلفازات ، ومطالعة الصحف والكتب التى تروى قصص الجنس وتنشر صوره ، وتحض على ممارسة تجاربه .

خامسا : ان وزارات التربية والتعليم ، فى البلاد العربية والاسلامية عامة ليست براء من مسئوليتها عن توجيه الشباب والطلاب الى دراسة تاريخهم والانفعال بأمجاده ، والمحافظة على تقاليده وآدابه .

سادسا : ان الآباء والامهات مسئولون بصفة خاصة عن تربية أبنائهم تربية عربية اسلامية ، تمنحهم شخصية انسانية مستقلة ، لا تذوب فى تقاليد الشعوب الاجنبية الاخرى ، ولا تنماع فى اتجاهاتها الفكرية والاجتماعية . ولعلنا لم ننس التوجيه الاسلامى الذى انطلق على لسان الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم : (أو ينصرانه أو يمجسانه) والتوجيه النبوى الآخر : (مروا أولادكم بالصلاة لسبع واضربوهم عليها لعشر) .

فالآباء والامهات وأولياء أمور الطلاب والشباب — لا التاريخ المتهم البرىء — هم المسئولون عن اهمال الجيل الناشىء أو الصاعد — كما يسمونه تجوزا أو تفاؤلا — لكل تقاليده الدينية والقومية ، وجهله بالتراث الفكرى والحضارى الذى خلفته العروبة والاسلام .

وهم — أولئك الآباء والامهات وأولياء الامور — مطالبون ، فى نفس الوقت بان يكونوا قدوة حسنة لأبنائهم وبناتهم ، فان الاطفال والاحداث ، كما هو معروف نفسيا وتربويا ، يتاثرون بالاسوة العملية فى ساداتهم وكبرائهم ، أكثر مما ينفعلون بما يقرا عليهم أو يكتب لهم ، أو ينصحون به .

سابعا : ان أوروبا ، فى عصورها المظلمة (الوسطى) قد اقتبست من تاريخنا وهو لم يكتب بعد كما هو الآن ، وانتفعت بحضارتنا العربية الاسلامية ، ونقلت علومها وفنونها وآدابها ، كما يعترف بذلك (رينان) و (جب) و (جوستاف لوبون) و (آرثر) وغيرهم من المفكرين والمؤرخين الغربيين .

فكيف يقال : ان تاريخنا لم يكتب بعد ؟

الواقع ، اننا نحن آباء ، ومعلمين ومربين ، كتابا وصحفيين واذاعيين — مسئولون عن عدم الانفعال بتاريخنا العظيم ومثلنا فى القاء التبعية على التاريخ واتهامه بالعجز والتقصير .. كما قال الشاعر الحكيم :

نعيب زماننا ، والعيب فينا
وما لزماننا عيب .. سوانا

وفى المقالات التالية ، اذا أذن الله واعان ، نواصل الكلام عن السوابق العربية والاسلامية ، فى مختلف النظريات والعلوم ، ومناهج التفكير ، لتكون هدى وموعظة لطلابنا وشبابنا .

والله سبحانه — هو الموفق والمستعان .



يكتبها : عبد المنعم النمر

باكستان والقائد الأعظم

فى مواقف باكستان الرائعة بجانب العرب فى هذه الأيام ، استوقفنى منها بخاصـــة ، ما قرأته فى احـدى الصحف المصرية من تعليق موجز ، يسجل للباكستانيين الموجودين فى انجلترا وألمانيا بلاءهم الحسن فى الدفاع عن قضيتنا ، وتبديد حملة الأكاذيب التى تشنها علينا أدوات الاعلام الصهيونية والغربية .

ذلك لأن المواقف الرسمية للحكومات لا تقف عند حد الروابط القلبية التى تربطها ، بل قد تصنعها أحيانا المجاملات أو المصالح .. واذا كنا نحن العرب نشعر بالتقـدير العميق لموقف باكستان بقيـادة الرئيس أيوب خان .. فان موقف هؤلاء الأفراد الذين لا صلة لهم بالرسميات ، ولكنهم اندفعوا الى حدائق (هايد بارك) وغيرها من الأندية والمجتمعات ، بفيض من شعورهم الاسلامى الخاص ، ليدافعوا عن اخوانهم المسلمين ، ويبددوا الضباب الكاذب الذى صنعته الدعايات المغرضة .. هذا الموقف هو الذى هزنى كمسلم ، يعتقد أن العقيـدة الاسلامية ، والرباط الاســلامى هو أقوى رباط ، وأكبر حافز لجمع القلوب ، وتوحيد الجهود ، وأن المسلم — كما يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه ولا يخذله)) .

واذا كنا نحن العرب الأوفياء لا ننسى موقفا كريما لحكومة أو لفرد أيا كان جنسه أو دينه ، فان موقف اخواننا الباكستانيين يؤكد ما نعتقـده من وجوب العناية باستغلال هذه الطاقة الى أبعد مدى ، والهابها فى النفوس ، لتكون لنا أمضى ذخيرة فى مجابهة الأخطار التى نتعرض لها ..

وفى الرابع عشر من أغسطس الماضى احتفلت الباكستان بعيد استقلالها بين التقـدير والتكريم من كل مسـلم عربى . وحين تحتفـل الباكستان بعيد استقلالها ، يذكر المحتفلون جميعا معها رجلين من رجالها ، وهبا كل جهودهم من أجل قيامها : يذكرون الدكتور ((محمد اقبال)) الذى أطلق هذه الفكرة فى خطبته أثناء اجتماع الرابطة الاسلامية فى مدينة ((الله أباد)) سنة ١٩٣٠ م ، ثم سـخر لهـا كل أفـكاره وتغنى بهـا فى أشـعاره ، حتى توفى فى ابريل سنة ١٩٣٨ م .

ويذكرون رجلا آخر وقف فى عناد واصرار ، فى سبيل غايته ، التى عاش حتى رآها واقعا يرعاه ، ولكن لم يمتد به الأجل كثيرا حيث وافاه الأجل بعـد قيامها بقليل ..

ذلك الرجل الآخر هو الذى يطلق عليه فى تاريخ باكستان الحديث لقب « القائد الأعظم » . ولم يكن له هـذا اللقب ، لأنه كان قائدا من قواد الحرب العظام ، بل لأنه قاد حركة قيام دولة للمسلمين حتى نجح فى تحقيقها . ذلك القائد الأعظم هو :

محمد على جنه (١)

ولعل من قبيل الصدف أن يكون أجداد محمد على ، مثل اجداد اقبال : من البراهمة الذين تحولوا الى الاسلام ، حيث شاء الله أن يكون من احفاد هؤلاء الأجداد مجاهدان عظيمان ، يقيمان دولة كبيرة للاسـلام على أرض الهند أو يعيدان قيام هذه الدولة .

وقد ولد محمد على فى كراتشى فى ٢٥ ديسمبر سنة ١٨٧٦ م ، حيث تلقى تعليمه الابتدائى والثانوى فى الهند ، ثم أرسله والده الى انجلترا ، حيث تلقى تعليمه الجامعى .. وعاد ليشتغل بالمحاماة .. وعن طريقهـا اشتغل بالحياة السياسية ، وانضم لحزب المؤتمر الهندى وعمـل تحت لوائه مدة ، ثم انضم للرابطة الاسلامية بعد قيامها بسنوات ، مشترطا أن يظل فى المؤتمر ، هادفا الى خدمة أغراض المسلمين ، وجمع بين عمله فى الجهتين للتوفيق بينهما قدر امكانه .. وبذل فى سبيل ذلك الكثير من جهده ووقته ..

ثم اضطر الى ترك ميدان الهند كلها ، وسافر الى انجلترا ، وأقام فيها يشتغل بالمحاماة .. وذلك لأنه لم يكن موافقا على فكرة العصيان المدنى ــ شأنه فى ذلك شأن الفيلسوف الهندى (طاغور) ــ كما لم يكن مقتنعا بجهود المسلمين التى يبذلونها فى سبيل الخلافة .. ولمـا وجد أنه بعيد بأفكاره عن تيار السياسة فى الهند ، ذهب الى انجلترا وأقام فيها ، حتى استدعاه رجال الرابطة الاسلامية للعودة الى الهند ، ليقود سفينتها فعاد سنة ١٩٣٤ وكرس كل جهوده من اجلها ..

رسول الوحدة :

ذلك هو اللقب الذى أطلقه حزب المؤتمر على محمد على جنه واقيمت له قاعة باسمه فى بومبـاى ، تخليدا لجهوده فى سبيل الوحـدة بين المسلمين والهندوس ، وأرسلت له الشاعرة الهندية (سروجينى نايدو) بعد أن افتتحتها سنة ١٩١٨ من الهند برقية بهذا الاختيار وهو فى فرنسا ، قالت فيها : « لقد عرفت الأمة فضل الرسول فى حياته » . ذلك لأنه كان فى بدء حياته السياسية ، وحين انضوائه تحت لواء حزب المؤتمر ، متفانيـا فى سـبيل الوحدة بين المسلمين والهندوس ، متعصبا لها . وكان له حينذاك موقف بارز يناقض موقفه تماما فى آخر حياته ..

---

(١) هكذا ينطق اسم القائد الأعظم (جنه) جيم مضمومة ونون مفتوحة وهاء ساكنة تشبه هاء السكت ، لا حاء كما تنطق فى العربية (جناح) ومعناها فى اللغة الكجراتية (النحيف) ولعل استعمال حرف الحاء عندنا راجع الى أن الحرفين يكتبان بحرف (H) فصيرناه حاء ، وسرنا على ذلك فى كل ما كتب بالعربية .

كان ذلك فى سنة ١٩٠٥ م حين أعلن الانجليز ــ كترضية للمسلمين بعد طول اضطهادهم ــ تقسيم البنغال الى قسمين : قسم للمسلمين ، وآخر للهندوس . حسب الأغلبية فى كل جزء ، وكان هذا التقسيم يمثل انتصارا للعاطفة الاسلامية ، فى الوقت الذى رأى فيه حزب المؤتمر بادرة لتقسيم الهند ، فحاربه بكل ما استطاع .. وتولى محمد على الهجوم العنيف على هذا التقسيم مع رجال المؤتمر ، حتى تراجع الانجليز ، وكان هذا التراجع خيبة أمل للمسلمين فى ذلك الوقت .

وقد ظل على ولائه لفكرة الوحدة حتى بعد أن انضم للرابطة الاسلامية .. وحتى بعد أن صار رئيسا لها ، وبعد أن أطلق اقبال فكرته فى قيام دولة خاصة للمسلمين سنة ١٩٣٠ .. وكان يحاول دائما التوفيق بين مصالح المسلمين والهندوس على أرض الهند ــ الأم الكبيرة ــ شأنه فى ذلك شأن الأغلبية العظمى من الزعماء المسلمين مثل مولانا محمد على(١) وأخيه شوكت على والدكتور انصارى وغيرهم .. ممن كانوا يعملون بحماس من أجل الهند الكبيرة ، التى تضم المسلمين والهندوس معا ، وعلى صداقة وطيدة ، مع رجال المؤتمر وعلى رأسهم غاندى . ولكنهم اضطروا أمام ما اعتقدوه من وجود تيار داخل حزب المؤتمر ، ضد مصالح المسلمين كما كانوا يرونها .. اضطروا أمام ذلك الى التخلى عن الارتباط بالحزب والجهاد معه ، وبدءوا يحذرون اتجاهه ، ويندون ببعض تصرفاته التى تهدر مصالح المسلمين ..

وكان ذلك مما حدا باقبال الى اطلاق فكرته التى كانت تمثل أملا حلوا يغذيه دائما بأشعاره .

ومع ذلك ظل محمد على جنه مؤمنا بفكرة الوحدة ، يعمل لها ، ولا ييأس من الوصول اليها ، وكان أهم ما يجاهد من أجله هو أن يعترف حزب المؤتمر عمليا بالحقوق المشروعة لأقلية عظيمة كالمسلمين ، حتى تبقى للهند وحدتها ، ويطمئن المسلمون الى مصيرهم فى ظل الاستقلال .. وقد كان كثيرون من رجال المؤتمر يشاركونه الرغبة نفسها ، ويعملون على الاعتراف بالحقوق المشروعة للمسلمين ، لكنه كان فيه بعض المتطرفين الهندوس ، الذين كانوا يعرقلون كل سعى فى هذا السبيل . مما ربّى فى نفس محمد على جنه سوء الظن بالمؤتمر ، حين ينفرد بحكم الهند بعد الاستقلال ، كما ربّى فى كثير من زعماء المسلمين وفى مقدمتهم مولانا محمد على وأخيه شوكت ، سوء الظن نفسه ، فانعزلوا عن حزب المؤتمر ، واجتنبوه واجتنبوا زعماءه وفى مقدمتهم غاندى .. الذى كان هو ومولانا محمد على صديقين لا يفترقان وكان بيته هو المنزل المختار لغاندى فى اقامته بدلهى (٢) .

وظل محمد على جنه يبذل جهده للتوفيق بين مصالح المسلمين التى كان يرعاها ، وبين رغبات حزب المؤتمر ، ويعمل كل ما يستطيع لامكان التعايش بين المسلمين والهندوس فى وطن واحد ، وتحت ظل وحدة يرعاها الجميع ، حتى وجد كل جهوده وجهود المعتدلين من المؤتمر تذهب هباء أمام عناد المتعصبين

---

(١) رئيس جمعية الخلافة .

(٢) يمكن أن تراجع التفصيل الواسع لذلك فى كتاب (كفاح المسلمين فى تحرير الهند)

من حزب المؤتمر وغيرهم ، وهنا لم يجد بدا من اعلان مطـالبته بما طالب به اقبال : من اقامة دولة خاصة بالمسلمين ، وكان ذلك فى سنة ١٩٤٠ م. أثناء الحرب العالمية الثانية ، أى بعد عشر سنوات من ولادة الفكرة (١) .

صـــمود :

ووقف بعد ذلك صامدا لا يتزحزح قيد شعرة عما طالب به ، وقف كالصخرة الصلبة التى تحطمت عليها كل ما عرض بعد ذلك من آراء المؤتمر والانجليز .. وفشلت المحاولات المتعددة فى زحزحته ، أو التأثير عليه ، واضطر الجميع أخيرا الى النزول عند رأيه ، وقامت دولة باكستان .. وأعتقد أنه كان من الممكن أن يتغير وجه تاريخ الهند ، لو لم يكن محمد على جنه قائدا لفكرة باكستان ..

فقد عرضت عليه عروض فى الفترة الأخيرة كان من الممكن لرجل معتدل أن يفكر فيها ، ويقبلها كحل وسط ، وتبقى الهند موحدة .. ولكن لم يكن هو من أصحاب الحل الوسط .. أو قل انه كان قد تجاوز هذه المنطقة ، ووصل الى نهاية الطرف الثانى ، فلم يكن من السهل عليه أن يقبل حلا وسطا بعد ذلك .. وبعد ما تأججت الفكرة فى نفوس المسلمين .. وبعد ما أصبح وجه باكستان الجميل وخيال الفردوس المنتظر يحجب عنه ، وعن المسلمين الذين أيدوه ، كل وجه آخر ، حتى ولو كان جميلا .. وصـــارت المكاسب المنتظرة من قيام دولة خاصة بهم ، تفوق فى نظرهم كل ما عرض أخيرا ، واشتمل على مكاسب لهم فى ظل الوحدة .

وقد كانت من صفات القائد الأعظم البارزة أنه يسير دائما وراء اقتناعه ، غير مبال كثيرا بالمعارضين ، وكان عنده من صلابة العزيمة ، وقوة الارادة ، ونزاهة القصد ، ما يؤهله لذلك ..

فعندما آمن بالوحدة فى مستهل حياته السياسية ، وقف يهاجم مشروع تقسيم البنغال ، وكان فى مصلحة المسلمين — كما سبق — وبعـــد أن انضم للعصبة الاسلامية لم يترك حزب المؤتمر ، بل ظل يعمل للتوفيق بينهما من أجل الوحدة التى آمن بها وظل سنين طويلة يعمل فى سبيلها ، مؤملا فى المعتدلين الهندوس من رجال حزب المؤتمر ، حتى فقد أمله ، فاعتنق فكرة التقسيم ، وهى ضد الفكرة التى أفنى زهرة شبابه من أجلها ..

وحين أجمعت الهند على حركة عدم التعاون ولم يكن من أنصارها ، وحين وجد المسلمين يتجهون بكل قوتهم الى حمـــاية دولة الخلافة ولم يكن ممن يرى هذا .. ترك الهند كلها وسافر الى انجلترا .. ولم يجد فى نفسه منزعا للنزول على حكم التيار الغالب للشعب .. وهكذا كان .. حين اعتنق فكرة التقسيم .. سار بها غير ملتفت يمينا أو شمالا ، حتى وصل اليها ، وتحققت ، عندما أعلن الانجليز تركهم للهند وتسليمها لدولتين : دولة (بهـــارت) أى الهنـــد ، ودولة باكستان ، وذلك فى أغسطس ١٩٤٧ م .

---

(١) راجع ص ١٩٤ من المصدر السابق .

وكان القائد الأعظم حينذاك قد تجاوز السبعين ، وأنهك جسمه النحيل الجهاد المستمر المضنى ، ومكن للمرض منه .. وعين أول حاكم عام لها ، وبدأ يشرف على بناء الدولة الجديدة ، وأعلن يوم قيامها للشعب : ((ان قيام باكستان وسيلة وليست غاية)) . ولكن لم يمهله القدر طويلا ، ليرعى البناء الذى وضع له حجر الأساس ، حيث توفى الى رحمة الله فى ١١ سبتمبر ١٩٤٨ .

وقد بدأت دولة باكستان قيامها وحياتها من الصفر كما يقولون ، وكانت مظاهر الدولة كلها فى دلهى ، وكان مركز الثقل فى الصناعة والموانىء وغيرهما فى المناطق التى كانت من نصيب الهند ..

فسارت الهنـد فى طريق الحياة العـادية التى كانت تسير فيـه قبل الاستقلال ..

أما باكستان فقـد بدأت تضع أسس دولة جديدة بكل مستلزماتهـا فى كراتشى .. كانت تشبه الى حد كبير أحد أفراد الأسرة الذى أجبرته الظروف على أن يترك بيت الأسرة المؤسس المستعد ، ليستأنف حياة جديدة فى بيت جديد يحتاج الى كل شىء صغير وكبير ..

كان الموظفون فى الدولة الجديدة لا يجدون الكراسى التى يجلسون عليها ، فكانوا يجلسون على الأرض ، ولا يجدون الورق الذى يكتبون عليه .

ولولا العزائم المشبوبة ، والحوافز الدافعة ، لولا الايمان بالدولة الذى يغلى فى نفس كل فرد ، ولولا عناية الله أولا وأخيرا .. ما وصلت باكستان الى ما وصلت اليه الآن من قوة وتقدم فى جميع نواحى الحياة .

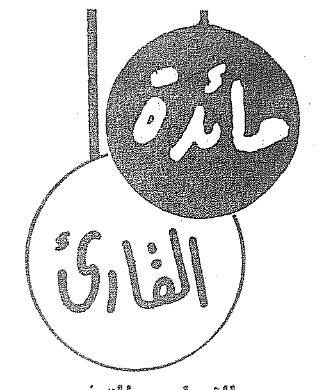
ولازلت أذكر حديثا جرى بينى وبين أحد خبراء هيئة الأمم المتحدة هناك ـ وكان مصريا ـ يوم نزلت كراتشى لساعات ، وأنا فى طريقى للهند فى التاسع من يناير سنة ١٩٥٦ .. قال لى وهو يقص على شيئا من مظاهر النهضة ومن العوائق التى تقف فى طريقها :

((كنت فى حديث مع أحد الخبراء الغربيين الذى يتردد كثيرا على باكستان ، وكان قد زارها بعد فترة من زيارته لها حين قيامها ، فقال لى (للخبير المصرى) : الآن أيقنت أن الله مع باكستان . لقد رأيتها وعرفت ظروفها حين قامت ، ولم أكن آمل مطلقـا أن تنهض .. كنت أعتقـد أنها ستفشل ، وتعود الى أحضان أمها الهند .. والآن حين رأيتها ، ورأيت مظاهر التقدم والحياة الجادة فيها ، أيقنت أن الله معها ..)) .

مضى على ذلك الحديث الآن أكثر من عشر سنوات ..

واليوم نرى باكستان تأخذ وضعها الدولى القوى فى الداخل والخارج .. ونرى منها ـ نحن المسلمين ـ الشقيقة التى ترعى حقوق الأشقاء ، وتبادلهم السراء والضراء .. ويعلن وزير خارجيتها السيد / شريف بيرزاده ، وقد حضر جلسة الافتتاح لمؤتمر وزراء المـال والبترول فى بغداد ، يعلن ((ان باكستان ستلتزم بما يقترحه العرب لازالة آثار العدوان الاسرائيلى)) .

حيا الله الباكستان ، ورجالها الأشقاء فى كل مكان ..



اعدها ابو نزار

الايمان والتمنى

« ليس الايمان بالتمنى ، ولكن ما وقر في القلب . وصدقه العمل ، ان قوما ألهتهم أماني المغفرة . حتى خرجوا من الدنيا ولا حسنة لهم ، وقالوا . نحن نحسن الظن بالله تعالى ، وكذبوا ، لو أحسنوا الظن لاحسنوا العمل .

— حديث نبوي »

امتنـــــا

« ان امتنــا لــم تكن ذنبــا لاحـــدى « الأمبراطوريات »

« التي ظهرت فى التاريخ ، ولن تكون ذنبا لاحدى الجبهات القائمة الآن في العالم .

ان أمتنا أمة ذات رسالة ، لا يجــوز أن تتخلى عنهــا ، ولا أن تجهــل قيمتهــا ، ولا أن تتقهقر عن حملها . »

الاســـلام كل لا يتجزا

« ليس فى المصحف سورة تؤثــر واخرى تهدر .

وآية نرضى حكمهــا ، واخـــرى نسخطه .

ان الوحى كله نظام الهى متكامــل يتسـم .

بالقداسة والعصمـــة في جملتـــه وتفصيله ، فلا مكان لاطراح جانب منه واصطحاب آخر .

ابنة شقيق ملك انجلترا تتلقى العلم في جامعة اسلامية

من جورج الثانى ملك انكلترا والغــال والسويد والنرويج الى الخليفة ملك المسلمين فى مملكة الاندلس صاحب العظمة هشام الثالث الجليل المقام .

بعد التعظيم والتوقير ، فقد سمعنا عــن الرقى العظيم الذي تتمتع بفيضه الصافى معاهد العلم والصناعات في بلادكم العامرة ، فاردنا لأبنائنا اقتباس نماذج هذه الفضائل لتكــون بداية حسنة في اقتفاء أثركم لنشر أنوار العلم فى بلادنا التي يسودها الجهل من اربعـــة اركان .

ولقد وضعنا ابنة شقيقنا الأميرة « دوبان » على رأس بعثة من بنات أشراف الانكليز لتتشرف بلثم أهداب العرش والتماس العطف لتكون مع زميلاتها موضع عناية عظمتكم وحماية الحاشية الكريمة وحدب من اللواتى سيتوفرن علــى تعليمهن .

ولقد أرفقت مع الأميرة الصغيرة هديــة متواضعة لمقامكم الجليل . ارجو التكرم بقبولها مع التعظيم والحب الخالص .

من خادمكم المطيع ،

جورج م. أ.

من معانى الآية

أ — يراد بالآية طائفة من حروف القرآن الكريم — « تلك آيات الكتاب المبين »

٢ — ويراد بها العلامة — « رب اجعل لي آية »
٣ — وتطلق على المعجزة — « ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات »
٤ — ويراد بها العظة والعبرة « ان في ذلك لآيات لأولى النهى »
٥ — ويراد بها البرهان — « سنشد عضدك بأخيك ونجعل لكما سلطانا فلا يصلون اليكما بآياتنا »
٦ — وتطلق على حكم من احكام الله — « تلك حدود الله فلا تقربوها كذلك يبين الله آياته للناس لعلهم يتقون » .

ايام الخليل

قال الخليل بن أحمد : أيامي أربعة .

يوم اخرج فألقى فيه من هو اعلم مني ، فأتعلم منه ، فذلك يوم فائدتي وغنيمتي .

ويوم أخرج فألقى فيه من انا اعلم منه ، فأعلمه ، فذلك يوم أجري .

ويوم أخرج فألقى فيه من هو مثلي ، فاذاكره ، فهذا يوم درسي .

ويوم اخرج فألقى فيه من هو دوني ، وهو يرى أنه فوقي ، فلا أكلمه ، وأجعله يوم راحتي .

طردا وعكسا

هذه الكلمات يمكن ان تقراها من اليمين الى الشمال ومن الشمال الى اليمين دون أن يتغير نطقها ومعناها .

★ وربك فكبر
★ سر فلا كبا بك الفرس
★ ربك فكبر

بلوى ونعمى

نعما ما يبتلينا به الله اذا كان من ورائه توبة من هذا الفسوق وجمعة من هذا التفرق ، ونصرة من تلك الهزيمة .

قد ينعم الله بالبلوى وان عظمت
ويبتلي الله بعض القوم بالنعم

رويد يهود

رويد يهود ، هل لها في حصونها
من الباس الا ما تظن السلاحف
يظنون أن لن ينسف الله ما بنوا
ولن يثبت البنيان ، والله ناسف
سيلقون بؤسا بعد أمن ونعمة
فلا العيش فياح ولا الظل وارف

آونة واوان

يظن بعض الكتاب ان آونة لفظ مفرد ، ولهذا يستعملونها على هذا الاساس ، والصحيح انها جمع اوان مثل ازمنة وزمان .

الايدي المتوضئة

راينا في الشرق مشروعات لا ينقصها صواب الفكرة ، ولا صدق الوجهة ، ومع ذلك فقد زاغت وذابت ، لا لشيء الا لان الأيدي غير المتوضئة هي التي باشرتها ، والقلوب الخالية من الله هي التي سيرتها .

الطيبات والمرارات

قال عبد الله بن شداد لابنه وهو يعظه .

اني ذقت الطيبات كلها فلم أجد أطيب من العافية .

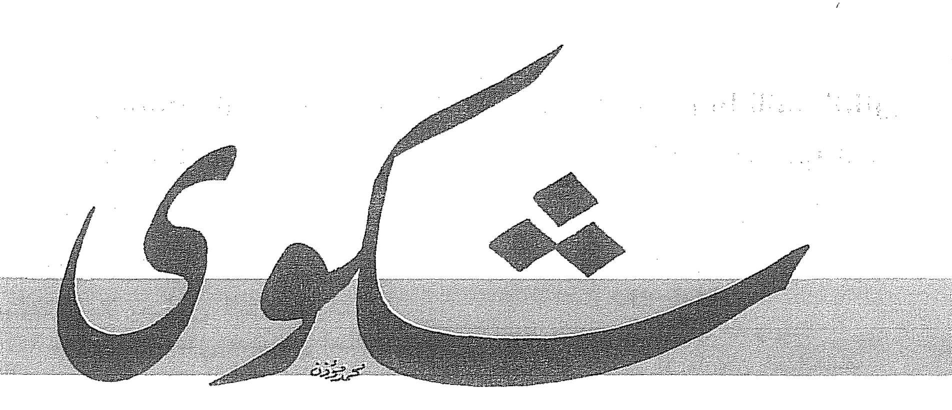
وذقت المرارات كلها فلم أجد أمر من الحاجة الى الناس .

ونقلت الحديد والصخر فلم اجد اثقل من الدين .

١٢ وساما

اشتركت أم عمارة « نسيبة بنت كعب » مع المسلمين في غزوة احد ، فشدت ثيابها على وسطها تسقي الجرحى ، ولما انهزم المسلمون وقفت تدافع عن النبي وقد اصيبت في هذه الموقعة باثنى عشر جرحا ، واثنى عليها رسول الله فقال :

لمقام نسيبة اليوم خير من مقام فلان وفلان . ما التفت يمينا ، ولا شمالا الا وانا اراها تقاتل دوني .



قد كان هذا الكون قبل وجودنا   روضا وأزهاراً بغير شميم

والورد في الأكمام مجهول الشذى   لا يرتجى ورد بغير نسيم

بل كانت الأيام قبل وجودنا   ليلا لظالمها وللمظلوم

لما أطل محمد زكت الربى   واخضر في البستان كل هشيم

وأذاعت الفردوس مكنون الشذى   فاذا الورى في نضرة ونعيم

***

قد كان في اليونان فلسفة وفي الـ   رومان مدرسة وكان الملك في ساسان

لم تغن عنهم قوة أو ثروة   في المال أو في العلم والعرفان

وبكل أرض سامري ماكر   يكفي اليهود مؤونة الشيطان

والحكمة الأولى جرت وثنية   في الصين أو في الهند أو توران

نحن الذين بنور وحيك أوضحوا   نهج الهدى ومعالم الايمان

***

لم نخش طاغوتاً يحاربنا ولو   نصب المنايا حولنا أسوارا

ندعو جهاراً لا اله سوى الذي   صنع الوجود وقدّر الأقدارا

ورؤوسنا يارب فوق أكفنا   نرجو ثوابك مغنما وجوارا

كنا نري الأصنام من ذهب   فنهدمها ونهدم فوقها الكفارا

لو كان غير المسلمين لحازها   كنزاً وصاغ الحُلْيَ والدينارا

***

كم زلزل الصخر الأشم فما وهى   من بأسنا عزم ولا ايمان

لو أن آساد العرين تفزعت   لم يلق غير ثباتنا الميدان

وكأن نيران المدافع في صدو   ر المؤمنين الروح والريحان

من قصيدة طويلة بهذا العنوان لشاعر باكستان وفيلسوفها الكبير الدكتور محمد اقبال . ترجمها الى العربية الأستاذ محمد حسن الأعظمي ونظمها شعراً الشيخ الصاوي شعلان . ولعلنا نعود فنقدم للقراء بعض ما ضاق المجال عن تقديمه الآن .

توحيدك الأعلى جعلنا نقشه ... نوراً تضيء بصبحه الأزمان

فغدت صدور المؤمنين مصاحفا ... في الكون مسطوراً بها القرآن

★★★

من غيرنا هدم التماثيل التي ... كانت تقدسها جهالات الوري ؟

حتى هوت صور المعابد سجّدا ... لجلال من خلق الوجود وصورا

ومن الألى حملوا بعزم أكفهم ... باب المدينة يوم غزوة خيبرا ؟

أم من رمى نار المجوس فأطفئت ... وأبان وجه الحق أبلج نيرا ؟

ومن الذي بذل الحياة رخيصة ... ورأى رضاك اعز شيء فاشترى ؟

★★★

نحن الذين استيقظت بأذانهم ... دنيا الخليقة من تهاويل الكرى

نحن الذين دعوا لصلاتهم ... والحرب تسقى الأرض جاما أحمرا

جعلوا الوجوه إلى الحجاز وكبروا ... فى مسمع الروح الأمين فكبرا

محمود مثل أياز (١) قام كلاهما ... لك بالخشوع مصليا مستغفرا

العبد والمولى على قدم التقى ... سجدا لوجهك خاشعين على الثرى

★★★

بلغت نهاية كل أرض خيلُنا ... وكأن أبحرها رمال البيد

في محفل الأكوان كان هلالنا ... بالنصر أوضح من هلال العيد

في كل موقعة رفعنا راية ... للمجد تعلن آية التوحيد

أمم البرايا لم تكن من قبلنا ... إلا عبيدا فى اسار عبيد

بلغت بنا الأجيال حرياتها ... من بعد أصفاد وذل قيود

---

(١) السلطان محمود الغزنوي وأياز خادمه .

قد هبت الأصنام من بعد البلى … واستيقظت من قبل نفخ الصور
والكعبة العليا توارى أهلها … فكأنهم موتى لغير نشور
وقوافل الصحراء ضد حداتها … وغدت منازلها ظلال قبور
أنا ما حسدت الكافرين وقد غدوا … في أنعم ومواكب وقصور
بل محنتي الا ارى في امتي … عملا تقدمه صداق الحور

***

لك في البرية حكمة ومشيئة … أعيت مذاهبها أولى الألباب
ان شئت اجريت الصحاري انهرا … أو شئت فالأنهار موج سراب
ماذ دهى الاسلام في ابنائه … حتي انطووا في محنة وعذاب
فثراؤهم فقر ودولة مجدهم … في الأرض نهب ثعالب وذئاب
عاقبتنا عدلا فهب لعدونا … عن ذنبه في الدهر يوم عقاب

***

عاشوا بثروتنا وعشنا دونهم … للموت بين الذل والاملاق
الدين يحيا في سعادة اهله … والكأس لاتبقى بغير الساقي
اين الذين بنار حبك ارسلوا الأ … نوار بين محافل العشاق
سكبوا الليالي في أنين دموعهم … وتوضأوا بمدامع الأشواق
والشمس كانت من ضياء وجوههم … تهدي الصباح طلائع الاشراق

***

كيف انطوت أيامهم وهم الألى … نشروا الهدي وعلوا مكان الفرقد
هجروا الديار فأين أزمع ركبهم … من يهتدي للقوم أو من يقتدي
ياقلب حسبك لم تُلِمّ بطيفهم … الا على مصباح وجه محمد
فازوا من الدنيا بمجدٍ خالدٍ … ولهم خلود الفوز يوم الموعد
يارب الهمنا الرشاد فما لنا … في الكون غيرك من ولى مرشد

***

يافرحة الأيام حين نري بها … روض التجلى وارف الأغصان
ويعود محفلنا بحسنك مسفرا … كالصبح في اشراقه الفينان
قد هاج حزني أن أري أعداءنا … بين الطلا والظل والألحان
ونعالج الأنفاس نحن ونصطلى … في الفقر حين القوم في بستان
أشرق بنورك وابعث البرق القديـ … ـم بومضة لفراشك الظمآن

برغم وضوحها البين . وطالما أنذر المشرع الاسلامي — في القرآن والحديث — بمغبة الخلاف حول تفسير الهدف من الدعوة اتقاء لآثارها الوخيمة على العقيدة والأمة ، ذلك لأن وحدة الصف لا يمكن أن تقوم لها قائمة دون وحدة الهدف ، ووحدة الهدف بدورها لا تتأتى الا بايضاحه وتحديده .

والآيات التى تتناول الهدف من الشريعة الاسلامية تصفه وصفا واضحا لا لبس فيه ، فهو الايمان بالدين الحق القويم السمح الذى يتفق مع الجانب المشرق فى النفس الانسانية .

« انا ارسلناك بالحق بشيرا ونذيرا »

« تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق وانك لمن المرسلين »

« ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين »

« فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم » .

فالدين الاسلامى يتفق مع الفطرة السليمة ولا يجافى الطبيعة البشرية . فهو يبيح كل ما ينفع الانسان ويحرم كل ما يضره ، وهو يحدد التكاليف الشرعية فى قواعد أساسية لا لبس فيها ولا غموض ، ويحدد واجبات الدولة فى هدف أساسى محدد أيضا هو الكفالة الاجتماعية بأوسع معانيها وتتلاقى جميع هذه الأحكام سواء منها ما يتعلق بالفرد أو الجماعة أو الدولة فى الحكمة من تشريعها وهى سعادة الفرد والمجتمع . فلا قيود مفروضة على الأفراد طالما أنهم ينتهجون الطريق القويم ، ولهم مطلق الحق فى الاستمتاع بالطيبات المشروعة وما أكثرها فى الحياة ، فالاسلام يدعو الى القصد فى العبادة وترك الغلو فى الدين ، لأن الملحوظ فى وضع التكاليف الانسجام مع فطرة الانسان ، وعدم اهمال نوازعه النفسية والجسدية ، وهذا الانسجام يمكن للدين فى النفس ، ويمنع أسباب ملالة التعبد ويعطى فرصة لأداء واجبات الحياة الدنيا .

« وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا » .

« يا بنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين . قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون . قل انما حرم ربى الفواحش ما ظهر منها وما بطن » .

والقيم الروحية التى يدعو الاسلام الى تثبيتها فى جميع مناحى التفكير والعمل الانسانى كلها تتفق مع المنطق والفطرة السليمة والمثل العليا للانسانية ، ولكنها تدفع الانسان الى تحقيق أحلامه المشروعة منذ أقدم الأزمان وهى : الحرية والمساواة والاخاء فى المجالات السياسية والاجتماعية والثقافية ، وعلى رأس هذه القيم الايمان بالحق والعلم والعمـــل والتقوى والحرية والعدل والرحمة والسلام .

ولقد جاءت الآيات محكمات فى تعريف هذه القيم وتحديدها وبيان أصولها وأحكامها . كما وردت الأحاديث شرحا وتفسيرا لها فى كلمات بسيطة محددة لا تحتمل اللبس أو الغموض . والرسول عليه الصلاة والسلام يقول :

« الحلال بيّن والحرام بيّن » .

ونخلص مما تقدم الى أن سمو الهدف من الدعوة الاسلامية ووضوحه وملاءمته للطبيعة البشرية فى نزوعها الى الخير ، وتطلعها الى الكمال ، كانت من أهم المقومات التى خص الله بها رسالة محمد صلى الله عليه وسلم وقد جعلها الله سبيلا الى نجاحه فى نشر العقيدة ، حتى ارتفعت الويتها فى مشارق الأرض ومغاربها ، ونشأ فى ظلها قادة وأبطال أعز الله بهم الاسلام وأكرم البشرية جمعاء .

صلاح الدين.. البطل

صورة نادرة من الشجاعة

يعرض الكاتب الفاضل فى هذا المقال صورا مشرقة للخلق الاسلامى الرفيع فى شخص صلاح الدين الايوبى ، ذلك البطل المسلم الذى نحتاج الآن الى من يعيد لنا ذكرى شجاعته وبطولته ، ويقوم بالدور العظيم الذى قام به فى تطهير البلاد الاسلامية والأماكن المقدسة من أيدى غاصبيها فهل يعيد التاريخ نفسه ؟

الوعى الاسلامى

أمثلة من الخلق الاسلامي :

خير ما ينبغي للعرب والمسلمين ، أن يفعلوه ــ وهم في نكبتهم الجديدة التي تتمثل في العدوان اليهودي الجديد واحتلال بقاع جديدة من ارض العروبة ــ هو أن يعودوا الى الاسلام دينهم الحنيف ، وأن يستلهموا منه معاني القوة ، والشجاعة والثبات .

وخير ما ينفع العرب والمسلمين هذه الأيام ، هو ان يتمثلوا اخلاق عظمائهم القدامى ، وأن يسيروا على نهجهم في الحرب والسلام .

والتاريخ العربي الاسلامي يزخر بالعديد من الأمثلة على مبلغ ما كان يتحلى به المسلمون من نبل الأخلاق ، وكريم الطباع ، ومقدار ما كانوا يتسمون به من المروءة ، وابداء العطف حتى تجاه الاعداء ، وفي ساحات الحروب والمعارك .

ولقد كان منقذ فلسطين ومحرر بيت المقدس بطل الاسلام والعروبة صلاح الدين الأيوبي امثولة حية للخلق الكريم الذي جاء به الاسلام ، وقدوة حسنة لغيره من القادة والحكام فيما يجب أن يكون عليه القائد والحاكم ، من الشهامة والعفة والرحمة .

ذلك أن ما اظهره هذا الحاكم المسلم المثالي من ضروب التسامح ، ومن آيات النزاهة والتعفف عن الأذى ، قد غدا مضرب الأمثال في التاريخ البشري كله ، حتى أن أوروبا المجرمة المعتدية على العروبة والاسلام ، لم تجد بدا من أن تشيد



والمروءة

الأستاذ : سليم طه التكريتي
المحامي — بغداد

بذكر فضائله ، ومواقفه المشرفة في بطون ما دونه كتابها ومؤرخوها من سير وتواريخ .

ذلك لأنه لم يحدث في تاريخ الحروب كلها منذ أن وجدت البشرية حتى الآن أن شهد العدو الخاسر المنهزم من الرعاية والتكريم على يد القائد الظافر بمثل ما أظهره صلاح الدين الايوبي تجاه الصليبيين المغيرين على بلاد العرب والاسلام .

فكلما ذكرت الحروب الصليبية التي شنتها اوروبا على الشرق العربي الاسلامي في أواخر القرن الحادي عشر الميلادي ، برزت الى الذهن صورة ذلك البطل الاسلامي الخالد صلاح الدين الأيوبي ، وصورة الفروسية الحقة التي تجلت فى مآثره الخالدة وخوالد أعماله مما لم يستطع معه أشد الغلاة في معاداة العرب والمسلمين أن يجرؤوا على نكرانه أو اهماله ، وعدم الاشادة به .

★★★

في أوائل صيف سنة ٥٨٣ هـ (١١٨٧ م) كان صلاح الدين الأيوبي قد أعد كل شيء لخوض المعركة الحاسمة ضد الصليبيين الذين ظلوا رغم ما أنزله صلاح الدين وأخوه الملك العادل بهم من هزائم منكرة في معارك عديدة يحتلون القسم الأكبر من أرض فلسطين بما فيها بيت المقدس .

وكان من بين ما أعده صلاح الدين لهذه المعركة خطة عسكرية حكيمة ، استهدف من ورائها اخراج القوات الصليبية من الاراضي السهلية ، التي تتوفر المياه والأشجار فيها ، الى سلسلة الجبال الجرداء التي

تقع بين سهل (صفورية) وبحيرة طبرية ، حيث اتخذ من قرية طبرية التي تقع غربي جنوبي البحيرة مقرا له ، ومنطلقا منها الى المعركة .

وقد نجحت خطة صلاح الدين هذه نجاحا هلل له وكبر ، فقد تحرك الصليبيون من سهل صفورية باتجاه طبرية عبر سلسلة الجبال الجرداء ، ومنها جبل الطور الذي تقع (حطين) عنده حيث لقيتهم قوات صلاح الدين فأبادت القسم الأكبر منهم ، فلم يجدوا أمامهم من منفذ للنجاة سوى أن يستسلموا ، ومن يومها انفتح الطريق الى بيت المقدس أمام صلاح الدين وقواته الظافرة .

وفي يوم الجمعة السابع والعشرين من شهر رجب من تلك السنة ، كان صلاح الدين الأيوبي واخوه العادل يؤديان صلاة الجمعة في بيت المقدس، بعد أن انزل الصليب من على قبة الصخرة المشرفة ، وازيلت الصور التي نقشت في أرجاء الصحن الشريف .

يتفقد احوال الأعداء

****

وبعد يومين كان صلاح الدين وأخوه وكبار رجاله بباب قلعة القدس يشهدون رحيل الصليبيين عن المدينة بعد أن سمح لهم صلاح الدين بذلك لقاء فدية بسيطة ، وعز على صلاح الدين أن يرى أغنياء الصليبيين ، وعلى رأسهم هرقليوس بطريرك القدس ، يخرجون بأموالهم وكنوزهم من المدينة ، دون أن تأخذهم الرأفة بالفقراء من بني قومهم فيسعفوهم بمبلغ الفدية .

واذ ذاك اصدر صلاح الدين اوامره بأن يسمح لخمسمائة من فقراء الصليبيين بمغادرة المدينة من دون فداء .

والتفت اليه اخوه الملك العادل يسأله أن يسمح له بأن يطلق هو الآخر سراح الف فقير دون فدية ابتغاء لثواب الله ، ولبى صلاح الدين طلب اخيه وامر باطلاق سراح الف صليبي جديد .

وفضلا عن ذلك أمر صلاح الدين بأن ترافق الراحلين عن المدينة فصائل من فرسان المسلمين ، تسهر عليهم خلال الطريق ، وتحول دون وقوع اى اعتداء عليهم ، الى ان يبلغوا الاماكن التي يقصدونها .

وفي اليوم التالي كان صلاح الدين وبعض رجاله امام كنيسة القيامة فى القدس .

وبعد أن ترجل صلاح الدين ورجاله عن خيولهم ، خاطب قومه قائلا لهم : ان بعض الأمراء الذين وفدوا أرادوا هدم الكنيسة وازالة معالمها . ولكنني رفضت فهم مخطئون ذلك لأننا لم نأت للهدم والتخريب .. لو فعلنا ذلك لآتينا عملا لن يرضي الله عنه .. سيبقى هذا البناء قائما كما اراد عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن يبقيه قائما .

وعلى أثر ذلك تقدم أربعة من الرهبان يطلبون الاذن من السلطان صلاح الدين أن يسمح لهم بالبقاء فى كنيسة القيامة ، لاقامة الطقوس الدينية فيها ، واعفاءهم من الضرائب واشباهها ، ورد صلاح الدين على طلبهم في الحال يقول : (سيكون لكم ما تريدون ، ولن ادع أحدا يقول : ان صلاح الدين رفض طلبا لواحد منكم) .

وحين كان صلاح الدين يواصل جولته في شوارع القدس تقدم منه شيخ مسن وهو يمسك بفتى ، وشرع يشرح للسلطان ظلامته ، ويقول : انه مسيحي صليبي سكن القدس منذ زمن طويل ، وان هذا الشاب عربي مسلم دخل المدينة سرا فآواه الشيخ واسكنه معه ، وقاسمه طعامه وشرابه ، ولكن الشاب تنكر للشيخ بعد أن افتتح المسلمون المدينة وطرده من بيته ، واستولى على كل ما فيه من متاع .

واذ سمع صلاح الدين ذلك قال

لأخيه العادل : (ردوا للشيخ بيته وماله واعفوه من الضريبة والفدية ، واسجنوا هذا الشاب الى أن ننظر في أمره) .

وإذ خطا صلاح الدين خطوة واحدة في طريقه قطع سبيله شخصان تحدث أحدهما فقال : انه يدعى محمود البصري سقط في معركة بيسان جريحا ، وكاد ان يموت ، لولا أن قيض الله له هذا الرجل الذي يرافقه ، وهو صليبي فاعتنى به وأنقذ حياته ، وقد رآه الآن في القدس وهو فقير ، لا يستطيع دفع مبلغ الفدية ، وانه يطلب الى صلاح الدين أن يعفيه من هذه الفدية ويسمح له بالرحيل .

وإذ انتهى محمود البصري من كلامه التفت صلاح الدين الى ذلك الصليبي فقال له : (أنت حر معفى من كل قيد ، لك أن تذهب أنى تشاء ، أو تبقى في المدينة معززا مكرما) .

وحين جلس صلاح الدين ليستريح بعد طوافه بالمدينة ، سأل من كانوا معه ، عما فعلوه بشأن نساء الافرنج ، فأجابوه بأنهم قد نفذوا أوامره وأحاطوهن بكل رعاية واحترام .

وإذ علم ذلك قال لقومه : (أريد منكم أن تطلقوا سراح (باليان) الذي دافع عن بيت المقدس ، وتطلقوا سراح زوجته (ماري) وكذلك (سبيلا) زوجة (غوى) ملك القدس الذي أسرناه في معركة حطين ، وأن تدفعوا الفدية عنهم من بيت المال ، وأن تتألف سرايا من رجالكم تبحث عن الأسيرات والسبايا من نساء الافرنج وإعادتهن الى الثغور مكرمات .

ولم يكتف صلاح الدين بذلك كله ، بل كان يقوم متنكرا بالتطواف في شوارع القدس وأزقتها الموحلة ، يطرق أبواب الصليبيين ومؤسساتهم مستطلعا أحوالهم بنفسه ، واقفا على كل صغيرة وكبيرة من شؤونهم .

فقد تزيا بزي حاج صليبي ودخل مستشفى القديس يوحنا ، وأمضى فيه يومين كاملين ، ليخبر أوضاعه ، وأحوال المشرفين عليه من الرهبان والراهبات ، ومدى اخلاصهم في أداء واجبهم .

***

وفي ليلة عيد الميلاد كان أحد جنود الافرنج ويدعى (جرفيه) الاعرج يجتمع مع زوجه وأولاده الاربعة ، ليحتفل بعيد الميلاد رغم ما كان يعانيه من عوز وشدة فقر ، وقد انضم الى العائلة شيخان هرمان مجاوران لهما

وكان جرفيه لا يفتأ يحدث الحاضرين بأن معجزة ستقع ، وتحول حالهم من بؤس الى نعيم .

وتمت المعجزة حين سمعوا بالباب صوتا يقول (عيد سعيد يا قوم . عيد سعيد يا جرفيه) .

وحين هتف جرفيه يسأل عن صاحب الصوت هذا أجابه (أنا صلاح الدين يا جرفيه) .

وكانت لحظة سعيدة حقا للمحتفلين . فقد أمر صلاح الدين بأن تترك لعائلة جرفيه وذينك الشيخين الحرية المطلقة في بيت القدس ، وان يخصص لهم معاش يكفيهم من مال السلطان .

وعلم النصارى صباح اليوم التالي بما فعله صلاح الدين لعائلة جرفيه وأمثالها ، فظلوا يذكرونه في صلواتهم وظلت الروايات عن كرمه وشهامته وعطفه حديث الاجيال والاحقاب .

حين انتصر المسلمون انتصارهم الرائع الكبير في معركة حطين ، طلب صلاح الدين أن يؤتى اليه بكبار الأسرى من الصليبيين ، وكان من بينهم (غوى) ملك القدس ، وعندما أدخل عليه هش له صلاح الدين ، وخفف من روعه ، وأجلسه على مقربة منه ، وناوله ماء مثلجا ليطفىء به ظمأه ، وعامله بكل أدب واحترام .

وقصة صلاح الدين مع خصمه اللدود « ريكاردوس » الانجليزي الملقب بقلب الأسد مشهورة شهرة صلاح الدين نفسه وسيرته العطرة .

فحين وقع ريكاردوس مريضا تنكر صلاح الدين في زي طبيب عربي ، واقتحم معسكر الاعداء ، ودخل على ريكاردوس ، وبعد ان جس نبضه ، واستفسر عما يشكوه من الم ، اعطاه دواء فسقاه اياه ، واذ انتهى من ذلك كشف عن شخصيته وقال يخاطب ريكاردوس (انا صلاح الدين يا ريكاردوس) ولو كنت اضمر لك شرا لوضعت السم في الدواء الذي سقيتك اياه .. ولكننا يا ريكاردوس لا نقتال غدرا ، ولا نقتل الا في ساحات الحروب) .

وفي احدى المعارك وقع احد فرسان الافرنج اسيرا في ايدي المسلمين ، وقد جاءوا به الى صلاح الدين ، لأن ذلك الفارس اعترف بأنه قتل عددا كبيرا من ابطال المسلمين . وبعد ان حاوره صلاح الدين سأله عن امنيته قبل ان يموت ، فرد الصليبي انه يريد ان يؤتى بخنجره الذي تكسر نصله ويدفن معه .

وهنا برزت شهامة صلاح الدين فاعترف ببسالة ذلك الصليبي ، فاهداه خنجره الذهبي الذي كان يحمله ، وامر بأن يطلق سراحه ، وطلب الى بعض فرسانه أن يبحثوا عن الخنجر المحطم فيردوه الى صاحبه الاسير .

***

وحدث حين كان صلاح الدين يحاصر قلعة (الكرك) ان كانت زوجة ملكها الافرنجي تحتفل بعقد قران ولدها ، وقد بعثت بهذه المناسبة بهدايا الى صلاح الدين . وما ان علم صلاح الدين بالأمر حتى ابلغ رسل تلك الاميرة بأن القتال سيتوقف هذه الليلة وغدا وبعد غد . وعلى اثر ذلك اصدر اوامره الى قادة جيشه بأن يتوقف القتال ثلاثة ايام الى ان تنتهي الافراح في القلعة المعادية المحاصرة . وهذا الذي فعله صلاح الدين لم يفعله اي قائد قبله او بعده ، ولم يحدث مثله في تاريخ الحروب حتى الآن .

وبعد الظفر اللامع الذي حققه المسلمون في معركة « مرجعيون » جيء بأحد الأسرى من الافرنج الى صلاح الدين ، وكان شابا حاول اغتيال صلاح الدين في تلك المعركة ، وعرفه صلاح الدين حق المعرفة ، وذكر للشاب الحادث فلم ينكره .

ولكن ماذا حدث بعد ذلك ؟ ان صلاح الدين الأيوبي لم يقطع رقبة ذلك الشاب الذي حاول قتله ، ولم يلق به في غياهب السجون ، وانما اطلق سراحه بعد أن قطع ذلك الشاب على نفسه عهدا امام صلاح الدين بأن يبقى في البلاد الخاضعة لحكم المسلمين ، ولا يعود الى الصليبيين ثانية .

***

ذلك غيض من فيض مما خلده التاريخ الانساني عن الخلق الاسلامي الصحيح ، الذي تخلق به صلاح الدين ، وتلك بعض الأمثلة على الخلق القويم الذي جاء به الاسلام ، وجعله نبراسا للمسلمين يهتدون به في متاهات الحياة . فلقد كان صلاح الدين واحدا من اولئك المسلمين المؤمنين حقا ممن تشبعت نفوسهم بروح الاسلام ، وشبوا على ما غرسه فيهم من فضائل ومحامد .

ولقد بلغ صلاح الدين منتهى الدراية في حكمه ، ومنتهى العدل في احكامه ، ومنتهى الشجاعة في حروبه، ومنتهى الحلم في معاملة خصومه واعداء الاسلام ، ومنتهى العطف على رعاياه ، وتلك هي خصال الاسلام ومبادؤه السامية .

ولن يستطيع المسلمون والعرب ان يطهروا أرض فلسطين من اليهود ويعيدوها عربية حرة مستقلة الا اذا عادوا الى الاسلام وتخلقوا باخلاقه ، وتمسكوا بتعاليمه ، ونظموا شؤونهم على أسس قواعده واحكامه .

خطة الكتابة فى الموسوعة الفقهية

سبق أن نشرنا فى العدد السادس والعشرين من المجـلة كلمة الأستاذ مصطفى أحمد الزرقا خبير الموسوعة الفقهيـة التى تقوم على اعدادها وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية . وقد تحدث فيها عن منشأ فكرة الموسوعة ، والغاية منها ، وكيفية سير العمل فيها ، وقد خطت اللجنة المنوط بها انجاز هذا العمل الضخم خطوات واسعة ، فأرسلت الى شخصيات علمية من مختلف الأقطـار مجموعة من البيانات المتعلقة بالموسوعة لابداء ملاحظاتهم .

وكانت اللجنة قد رأت ـــ حرصا منها على سرعة انجاز الموسوعة واخراجها لمن ينتظرونها بلهفة شديدة ـــ تضييق نطاق عرض اختلاف الاجتهادات الفقهية بين المذاهب ، والاقتصـار من ذلك على خلافات مذاهب أهل السنة الأربعة (الحنفى والمالكى والشافعى والحنبلى) من المذاهب المدونة تدوينا كاملا ، ثم المنقول من آراء الصحابة والتابعين وتابعيهم المتفرقة فى المصادر جمعا وصونا لهذا التراث المشتت من فقهم وتأخير عرض الخلاف الفقهى فى المذاهب الأربعة الاخرى (الزيدى ، والجعفرى الامامى ، والاباضى ، والظاهرى) الى المراحل اللاحقة عند تجديد طبع الموسوعة . وذلك لأن اتساع نطاق الخلافات الفقهية التى تعرض فى الموسوعة يستوجب زيادة الزمن اللازم لتحرير البحوث وتهيئتها للاخراج .

ولكن جاء فى أجوبة عدد من الشخصيات العلمية الموسوعية التى استطلعت اللجنة آراءهم استحسان شمول الموسوعة للآراء الفقهية فى المذاهب الأربعة الاخيرة من البداية ، ولو كان ذلك على حساب سرعة الانجاز ، تعميما للفائدة من هذا المشروع العظيم ، خشية ألا يتيسر ذلك فى المستقبل ، وقد استجابت اللجنة لهذه الرغبات فرأت عرض الخلافات الفقهية فى المذاهب الأربعة (الزيدى والجعفرى والاباضى والظاهرى) بجانب خلافات مذاهب أهل السنة الاربعة .

وقد كتبت اللجنة الى الاساتذة الذين يساهمون فى كتابة الموسوعة بمراعاة خطة موحدة فى كتابة بحوثهم ، حرصا على وحدة الأسلوب والتناسق فى كتابة

الموضوعات ، واجتنابا لاختلاف منهج الكتابة مما يوجب تعديلا وتبديلا يستهلك جهدا ووقتا ، وقد تضمنت هذه الخطة عدة أمور منها :

١ ــ عرض الموضوع بأسلوب مبسط خال من كل تعقيد ، وبعبارة نيرة تجمع بين حسن الايجاز والاستيعاب والوضوح ، دون تكرار شيء سبق بيانه سوى ما تقتضيه اقامة نقاط الارتكاز ، أو حاجة الوصل أو التفريع بين سابق ولاحق من الكلام .

٢ ــ الاحالة فى الحاشية على المرجع المأخوذ منه فى كل مرحلة من البحث .

٣ ــ المحافظة على عبارات الفقهاء فى مصادرها الاصلية كلما كانت واضحة . وما كان فيها من اصطلاحات فقهية أو أصولية لا يفهمها غير الفقيه المختص ينبغى تفسيره فى الحاشية بأقل ما يكفى لفهم معناه بصورة اجمالية .

أما العبارات المعقدة فى مصادرها ، والمشتتة بين متن وشرح وحاشية فتصاغ فيها أماكن التعقيد صياغة جديدة من قبل الكاتب ، يحافظ فيها على أداء المعنى المقصود فى الاصل دون زيادة ولا نقص ، مع المحافظة على المفردات اللفظية فى الاصل ما أمكن .

٤ ــ عدم ادخال أى رأى شخصى أو اجتهاد للكاتب فى الاحكام الفقهية المعروضة ، لأن غاية الموسوعة عرض الفقه المدون الموجود بتبسيط وترتيب جديد ، وليست غايتها عرض آراء الكتاب ــ واجتهاداتهم .

٥ ــ الحرص على تخطيط البحث المكتوب مبتدئا من الامور البسيطة والمعلومات التمهيدية والعامة كالتعاريف والتقاسيم والاركان والشرائط ، مع ملاحظة تقديم البحوث الاساسية فى كل موضوع على البحوث الفرعية ، وتقديم الأحكام العامة فيه على الأحكام الخاصة ببعض الحالات .

٦ ــ خلال كتابة البحث يفرز الكاتب كل ما يمر به من ألفاظ صالحة لأن تكون عنوانا اصطلاحيا هو مظنة لأن يراجع عنه الباحث بصورة مستقلة . فما كان من هذ ه الالفاظ صالحا لأن يكتب فيه بحث مستقل ويدخل مع الكلمات العنوانية الاساسية التى تؤلف الهيكل اللفظى الكامل للموسوعة فان الكاتب يبين لادارة الموسوعة رأيه فى لزوم افراده ببحث وعنوان ، ولا يعالجه عندئذ معالجة كاملة فى ضمن البحث الاصلى الذى يكتبه ، وذلك بانتظار الموافقة على افراد اللفظ المذكور ببحث مستقل تعرض فيه أحكامه .

٧ ــ تعليل الأحكام التى يكون فى تعليلها وذكر دليلها قيمة علمية حيث يتضمن التعليل فهما دقيقا لنص ، أو اجتهادا قياسيا أو استحسانيا يعبر عن نظرية أو قاعدة ، ومناقشة خفيفة للدليل عند ذكر المذهب المخالف ، كل ذلك فى حدود الايجاز والاجمال دون الاسهاب ، وعندما يكون الدليل أو مناقشته مما يحتاج الى مزيد بسط فانه يشار اليه ويحال على مراجعه .

٨ ــ قضايا أصول الفقه وتقاسيمه وأحكامه لا تعرض بصورة مستقلة ،

لأن علم أصول الفقه يحتاج الى موسوعة خاصة (وربما يفرد له فى آخر الموسوعة جزء أو جزءان) . ولكن ما يأتى من القواعد الاصولية فى خلال تعليل الاحكام يذكر كمستند فى التعليل ، واذا كان مما يحتاج فيه القارىء غير المختص الى ايضاح فانه يوضح فى الحاشية ايضاحا تعريفيا فقط .

٩ ــ أن يذكر الكاتب فى أول البحث أو فى آخره مجموع المراجع التى نقل عنها فعلا مع ذكر الطبعة فى كل منها .

١٠ ــ بما أن الموسوعة سيعرض فيها الفقه فى مختلف مذاهبه ، وأن تلك المذاهب تختلف فى فقهها ومؤلفاتها لا فى الأحكام الاجتهادية فقط ، بل فى الاصطلاحات والتبويب والترتيب وطرق التعبير . وأساليب التصحيح والترجيح ، وأن مهمة الكاتب تنحصر فى عرض الفقه كما هو فى مراجعه الأصلية وليست مهمته أن يكتب فى الموضوع الذى يعطاه بحثا أو تحقيقا فقهيا بالشكل الذى يراه ويؤديه اليه اجتهاده . فهذا الاعتبار يجعل من الأفضل ان لم يكن من الواجب أن تكتب الموضوعات مبدئيا على أساس مذهب معين ويعرض فى كل مسألة خلافية ما فى المذاهب الاخرى من خلاف فيها . ذلك لأنه اذا لم يتخذ احد المذاهب أساسا لكتابة الموضوع أصبحت كتابته متموجة أشبه ببحث اجتهادى لا ينطبق على مصدر معين ، وتصعب عندئذ مراجعته النهائية التى يتوقف عليها دخوله وطبعه فى الموسوعة الفقهية .

لذلك رئى اتخاذ المذهب الحنفى أساسا لكتابة الموضوعات نظرا لسعته وكثرة فروعه وصلته بالحياة القضائية أكثر من سواه . فتكتب الموضوعات مبدئيا وفقا لمفاهيمه وأصوله واصطلاحاته وقواعده وأساليب فقهائه فى التعبير ، ويعتمد الكاتب أصح الاقوال فيه ويذكر فى كل مسألة خلافية ما فيها من خلاف جوهرى فى المذاهب الاخرى .

على أن هذا لا يمنع أن تصاغ بعض الموضوعات على أساس مذهب آخر غير الحنفى اشتهر بها أكثر من سواه كموضوع المصالح المرسلة الذى له فى المذهب المالكى قواعد وركائز أبرز مما فى غيره .

وفى القضايا الخلافية التى يوجد فيها نقاش طويل وجدل وتفصيل تلخص الأحكام المذهبية بأدلتها الاجمالية ويحال بالتفصيل على مراجعه لمن يريد الاستقصاء .

١١ ــ يرجى فى عرض المذاهب المخالفة فى مواطن الخلاف أن تنقل فيه خلافات كل مذهب من كتبه المذهبية نفسها ، لا مما تذكره عنها كتب مذاهب أخرى . فخلاف الشافعية مثلا ينقل من كتبهم المذهبية لا مما يرويه الحنفية عنهم ، وكذا العكس . أما آراء الصحابة ومن بعدهم ممن ليس لهم مذاهب كاملة التدوين ، ولا كتب خاصة بمذاهبهم ، فتنقل آراؤهم من كتب اختلاف الفقهاء ، ومما ترويه كتب المذاهب الاخرى المدونة ، ومن جميع المصادر الموثوقة .

المسلمون في

للأستاذ محمد طه الولي
(بيروت)

سنة ١٦ هجرية ، دخلت القوات العسكرية الاسلامية مدينة بيروت ، وكان على رأس هذه القوات معاوية بن أبى سفيان رضى الله عنه من قبل أخيه يزيد بن أبى سفيان الذى كان معينا من قبل أمير الجيوش العربية المعقودة اللواء لأبى عبيدة بن الجراح فاتح الشام مع خالد بن الوليد رضى الله عنهما .

ولم تكن بيروت فى ذلك الحين أكثر من « بليدة على ساحل بحر الروم » كما قال ياقوت فى معجم البلدان ، تتناثر بيوتها المتواضعة بين بقايا الانقاض التى تخلفت عن الزلزال المروع الذى دمرها عن آخرها سنة ٥٥٦ للميلاد .

وعندما دخل المسلمون الفاتحون الى المدينة ، كان سكانها القلائل مزيجا من أبناء البلاد المحليين ، وجنود الروم الاغراب الذين يشغلونها وعائلاتهم لأغراض عسكرية وادارية . وجميع هؤلاء وأولئك كانوا من النصارى الملكيين الذين يرجعون بشئونهم الدينية الى السلطات الروحية البيزنطية . ثم (صار المسلمون يتكاثرون فيها والروم تقل منها وقتا بعد وقت حتى صار أكثر أهلها مسلمين) كما يقول صالح ابن يحيى فى كتابه تاريخ بيروت (ص ١٥) ، وما لبثت هذه المدينة طويلا حتى غمرتها الموجة الاسلامية ، وتقلص عنها ظل النصرانية بسبب فراغها من قوات الاحتلال الرومية الذين انسحبوا منها ، وفى اثرهم غالبية الذين هم على ملتهم من السكان البيروتيين الاصليين .

وما أن استقر الامر للأمويين فى دست الخلافة بدمشق ، حتى أصبحت بيروت مدينة اسلامية صرفة بسكانها من العرب ، وغيرهم من الفرس الذين جلبهم معاوية من بلادهم ، وأسكنهم بعض المدن السورية ، ليتخذ منهم قوة تذود عن البلاد محاولات العودة التى كان يقوم بها الروم بين الحين والآخر ، طمعا فى استرداد الملك الذى فقدوه فى هذه المنطقة .

وعلى الرغم من أن بعض هذه المحاولات قد أدركت غايتها فى بعض الاحيان لمدة بسيطة ، فان المدينة لم تفقد طابعها الاسلامى الجديد ، وبقيت محتفظة بهذا الطابع بلا انقطاع حتى أوائل القرن السادس للهجرة ، وهو الزمن الذى خضعت فيه للسيطرة الصليبية (٥٠٣ هـ ١١١٠ م) .

كان الاحتلال الصليبى يستهدف ازالة التراث الاسلامى ، وازالة معالمه من جميع المناطق التى تفشى فيها ، وعلى هذا فلقد أصاب بيروت ما أصاب غيرها من القطاعات الصليبية ، وانحسر عنها سكانها المسلمون ، غير أفراد قلائل قصرت بهم ظروف حياتهم المعاشية وامكاناتهم المادية دون النزوح من البلد ، فلم يجدوا بدا من البقاء تحت ربقة عدوهم الذى حرمهم من الاحتفاظ بمساجدهم .

فلقد أزال الصليبيون حتى مقامات أوليائهم

بيروت على مر العصور

ونساكهم ، ولم يعفوا الا عن مقام الامـــام الاوزاعى بشفاعة من ابناء دينهم نصارى جبل لبنان الذين ذكروا له شفاعته بهم عندما نقضوا عهد الامان أيام العباسيين .

وحينما استعاد المسلمون بلادهم على يد صلاح الدين الايوبى لم يعثروا فى بيروت على العدد اللازم من ابناء المدينة المسلمين بمـــا يكمل العدد الشرعى لصلاة الجمعة (أقصاه أربعون عند الشـــافعى) فضـــلا عن أنهم لم يجدوا المسجد الجامع لأداء هذه الصـــلاة ، مما اضطر السلطان صلاح الدين الى اتخـــاذ كنيسة ماريوحنا التى حولها الصليبيون خلال دفاعهم عن المدينة الى قلعة عسكرية ، وجمع الناس للصلاة فيهـــا ، واتخذها من حينـــه مسجدا جامعا للصلاة . وفى عهد الصليبيين كانت جمهرة السكان فى بيروت من النصارى الاوروبيين ، ومن والاهم من نصارى جبـــل لبنان ، الذين انحدروا من قراهم ودساكرهم الى المدينة ، طلبا للعمل فى المؤسســـات الصليبية من مدنية وعسكرية وانتجاعا للرزق على موائد المحتلين .

ومع الزمن المتطاول ، تكونت من هـــؤلاء النصارى المحليين والوافدين ، مجموعة سكنية اكتسحت المدينة بطابعها الدينى المميز . وبعد حوالى تسعين سنة أى عام ٥٨٣هـ ـــ ١١٨٧م دار الدهر دورته واستانف الاسلام وجوده فى بيروت ، اذ عاد اليها المسلمون متقاطرين من الديار الاسلامية المجـــاورة بالاضافة الى الجيوش والحشود التى جاءتها فاتحة بقيـــادة صلاح الدين الايوبى .

ولقد أدى وجود هذا السلطان المسلم الى تغيير الوضـــع الدينى فى المدينـــة حتى بين النصارى انفسهم الذين وجدوا فى مروءتـــه وانســـانيته ما حملهم على اعتنـــاق دينه ، والانضواء الى جماعته تحت رايته ، ولقد بادر صلاح الدين الى انتهـــاج خطة تهدف الى المحافظة على مكاسبه العسكرية ، وذلك بانزال عدد كبير من أبناء جنسه الاكراد فى منـــاطق حكمه ، ومنها بيروت ، الامر الذى أدى الى مضاعفة عدد المسلمين فى هذه المدينة ، وما يزال عدد من هؤلاء موجودا فى أنحاء متفرقة من بلادنا حتى اليوم ، لا سيما فى قضـــاء الكورة من شمال لبنان ويعرفون بالاكـــراد الايوبية

على أن هذا الوجود الاسلامى فى بيروت لم يقيض له الاستمرار طويلا ، اذ أنه تلاشى مرة ثانية بعد أن تركز حوالى عشر سنوات ، وذلك بسبب استرجاع الصليبيين للمدينة على اثر وفاة صلاح الدين ، هذه الوفاة التى كانت كارثة بمـــا أعقبهـــا من اضطراب السلـــطة الاسلامية فى البلاد ، لتنافس خلفاء هـــذا السلطان المجاهد على الحكم ، واجتماع كلمة الصليبيين على انتهاز الفرصة ، والوثوب على القواعد الاسلامية واسترجاعها واحدة بعـــد

أخرى من يد حكامها المسلمين المتفرقين . وفى هذه المرة نزل بمسلمى بيروت ما سبق أن نزل بهم من قبل ، فلووا أعناق مطاياهم تاركين مدينتهم الى غيرهــا من المدن التى توسلوا العيش فيها محافظين على مصالحهم ودينهــم وطمأنينتهم .

بيد أن الخسائر العسكرية التى منى بهــا الصليبيون على يد صـــــلاح الدين وقواد المسلمين الذين جاءوا من بعده تركت فيهم وهنا وضــعفا ، بحيث لم يتمكنوا من الاستقرار والتمتع بمــزايا الانتصــارات العسكرية التى أصابوها ، فبقيت قبضتهم على البلاد التى اســـتمادوها بالقوة والقهـــر ، مشوبة بالاضطراب والقلق . وقد دامت هذه الفترة الصليبية الثانية مع الوجود النصرانى ببيروت من سنة ٥٩٣هـ ـــ ١١٩٧ م الى سنة ٦٩٠هـ ـــ ١٢٩١ م ففى هذه السنة سلمت بيروت صلحا الى ســـنجر الشجاعى الذى فتحهــا باسم السلطان الاشرف خليل بن الملك المنصور قلاوون الالفى .

وبعودة بيروت الى حوزة الجيوش الاسلامية تحت راية المماليك الذهبية أعاد التاريخ نفسه اذ تنفس المسلمون البيروتيون الصعداء بينما تراجع الوجود النصرانى عنهــا مع هزيمــة الصليبيين الذين ((جهزهم سنجر الشجاعى)) الى دمشق ومنها انفذهم الى مصر بأجمعهم .. ولما وصلوا الى مصر اطلقهم السلطان وقال لهم : ((أمانى باق عليكم)) وخيرهم بين العودة الى بيروت أو التوجه الى قبرص ، فتوجهوا الى قبرص بأجمعهم (تاريخ بيروت لصـــالح ابن يحيى ص ٢٨) .

وكان فى جملة من تركوا بيروت يومهــا العديد من النصــارى المحليين الذين آثروا مشاركة الصليبيين مصيرهم فى قبرص تحت حراسة العمارة الاسلامية التى أقلتهم قطعها البحرية الى هذه الجزيرة حيث للصليبيين مملكة مستقلة بامارة اللوزينيان قوامهــا بقــايا الاوروبيين الذين خسروا سلطانهم فى بــلاد الشام .

وما يزال فى جزيرة قبرص حتى اليوم طائفة منحدرة من الموارنة الذين أفرد لهم الحـــكم الحالى فيها مقعدا نيابيا يشغله واحد منهم فى هذه الايام .

وفى أيام المـــاليك غدت بيـــروت مدينـــة اسلامية من بابها الى محرابها ـــ كما يقول المثل السائر ـــ وأصبح أهاليها جميعا تقريبا من المسلمين ، بينما انصرف عنهــا النصارى الذين لم يرافقوا الصليبيين الى قبرص. وآثروا الاقامة فى الجبال المطلة عليها وتكتل هؤلاء فى جـــرود كسروان التى تقع الى الشمال من المدينة ، على أن السلطات المملوكية اضطرت فيما بعد الى مطاردتهم فى هذه الجرود ، وبناء على فتوى من شيخ الاسلام ابن تيميـــة الحرانى قام نائب الشام تنكز والقائد جمال أقوش الافرم باجلائهم كذلك عن هذه المناطق بسبب كثرة تعدياتهم على الاملاك العامة ، وقطعهم السابلة ، وفتكهم بمن ينفردون به فى بلادهم من عساكر السلطان وعامة المسلمين .

وقد عرفت بيروت فى أيام المماليك غزارة ملحوظة من السكان المسلمين ، الذين تكاثروا بمن شاركهم فى سكناها من العناصر الاسلامية غير العربية ، أمثال التركمان ، والاكـــراد والشركس . ذلك بأن الولاة الذين كان ينيبهم السلطان المملوكى بمصر عنه فى حكم بـــلاد الشام ، لاحظوا أن مدينة بيروت ما زالت تستهوى مطامع الصليبيين الذين ذاقوا حلاوة احتلالها قرابة القرنين من الزمان ، ووجـــد الولاة المذكورون أن سادة المدينة السابقين من الافرنج لا يفتأون يتطلعون الى معاودة النزول فيها من جديد بالتعاون مع أبناء دينهم المحليين لا سيما سكان جبل لبنان المطل عليها ، فعملوا على حشد أكبر عدد من المسلمين فى أرجائها وفى الارياف المحيطة بها واختاروا لهذا الغرض عشائر شبه بدوية امتازت بقوة الشـــكيمة والتقاليد الحربية المتوارثة .

وهكذا عرفت بيروت ـــ ذلك الوقت ـــ كثرة اسلامية ساحقة من السكان الاصليين ، وممن توافد عليهم من هذه العشائر حتى أصبح من المستحيل على الصليبيين الافادة من مغامرات قراصنتهم فى البحر ، أو نشاط عملائهم فى البر . وقد نتج عن الاعمال الاستفزازية التى قام بها هؤلاء وأولئك أن عمدت السـلطات

الحاكمة الى تضييق الخناق على من تبقى منهم في بيروت نفسها حتى ضاقوا ذرعا بما آل اليه أمرهم في المدينة ، واختاروا أماكن أخرى بعيدة عنها تاركين المجال أمام المسلمين ليبقوا وحدهم سكانا لها .

والجدير بالذكر أنه ما تزال في ضواحي بيروت الى جهة الشمال ، أمكنة تعرف باسم ((الازواق)) أي الاسواق ((مثل زوق مكايل)) ، وزوق مصبح وقد كانت في الاصل معسكرات ينزل فيها أفراد تلك العشائر المسلحة وعائلاتهم . وقد تحولت هذه الازواق اليوم الى قرى يسكنها النصارى على المذهب الماروني . وقد اختار الامير فؤاد شهاب رئيس الجمهورية اللبنانية السابق أحدها مقرا للرياسة بسبب قربها من جونيه بلدته الاصلية .

وفي سنة ٩٢٣ هـ — ١٥٤٥ م عندما حل الاتراك العثمانيون محل سلاطين المماليك في الشام ومصر والبلاد العربية الاخرى كانت بيروت مدينة اسلامية بمن فيها من السكان والاهالي . ولم ير هؤلاء السادة الجدد بأسا من الاستمرار بالاعتماد على العشائر التي أنزلها الحكم السابق في المدينة وغيرها من المناطق الاستراتيجية في الساحل ، فبقيت بيروت محافظة على مظهرها الاسلامي بصفة عامة الا أن النصارى كانوا يتسربون اليها بأعداد قليلة في أزمان متفاوتة ، دون أن يجدوا حرجا من الدولة العثمانية التي كانت تغض الطرف عنهم ، رغبة في استصناعهم . وفي هذه الاثناء أتيح للنصارى أن يشيدوا بعض الكنائس الصغيرة لممارسة طقوسهم الدينية لا سيما خارج أسوار المدينة القديمة .

بيد أن قبضة السلطة العثمانية الاسلامية ، كانت تضطر للتراخي في بعض الظروف بسبب متاعبها العسكرية مع الدول الاوروبية ، الامر الذي جعل النصارى في جبل لبنان يتوقون الى توسيع نطاق نفوذهم في المدينة . فكانوا ينتهزون أي مناسبة عابرة تكون فيها الدولة مضطرة لمسايرة الاوروبيين أو مهادنتهم ، ويعملون على توسيع مجالات سكناهم في بيروت وانشاء مؤسساتهم الدينية حتى استفحل أمرهم فيها أخيرا وكادوا يصبحون الكثرة الغالبة من سكانها ، حتى اذا بدأ النصف الثاني من القرن الثامن عشر للميلاد وجد البيروتيون أنفسهم وقد أصبحوا تحت حكم الامير يوسف الشهابي المتنصر الذي اتخذ من بني ملته وجلدته بطانة له وأنصارا لحكمه ، وشرع أمامهم أبواب المدينة ليأخذوا بناصية الامر فيها ، ويتحكموا بمقدراتها ويهيمنوا على مصيرها .

وفي هذه الاثناء حدث تحول لم يكن في حسبان أحد ، اذ عرفت سورية حاكما بشناقيا عنيدا ظهر في ميدان السياسة المحلية تحت شعار عودة الاسلام والمسلمين الى بيروت بمختلف الوسائل والاساليب ، هذا الحاكم هو أحمد باشا المعروف بالجزار .

ومن الطريف أن هذا الحاكم المتحمس لصهر بيروت بالبوتقة الاسلامية عمرانا وسكانا ، لم يكن في الاصل الا غلاما نصرانيا من بلاد البوسنة ، هجر بلاده على أثر اختلافه مع أخيه لأسباب عائلية كي يبيع نفسه رقيقا لنخاس يهودي من اسطمبول ، وهذا نصحه باعتناق الاسلام ليروج سوقه ، ويتضاعف ثمنه ، وهذا ما حدث بالفعل ثم تطورت الايام ، واذا بهذا الغلام النصراني عندما بلغ أريكة الحكم على ولاية سورية يصبح أشد نكالا على النصارى من أي حاكم سبقه في أي عهد من العهود .

في أيام هذا الحاكم عرفت بيروت مدا اسلاميا مركزا ، كما عرفت بمقابل ذلك جزرا نصرانيا واضحا وأصبحت هذه المدينة المسورة لا تضم داخل أبوابها المصفحة بالحديد الا المسلمين تقريبا بينما ارتد عنها النصارى لائذين بأكناف الجبل متربصين للعودة اليها في الوقت المناسب ، ولقد بلغ من قلة عدد هؤلاء في المناسب ، ولقد بلغ من قلة عدد هؤلاء في المدينة أنهم اشتركوا — كاثوليكا وروما أورثوذكس — في كنيسة واحدة على خلاف ما تسمح به طقوسهم المذهبية المتناقضة في هذا الصدد .

وبقي الحال كذلك بالنسبة للمسلمين والنصارى في المدينة حتى جاء الوقت المناسب لهؤلاء الاخيرين وذلك حينما حل الحين بالجزار نفسه ، فتنفسوا الصعداء وانطلقت قرائح شعرائهم تردد القول بشماتة لا تخفى منها ملامح الحقد الذميم .

لله درك يا منون فقد بدت
منك الحياة وطاب حكمك واعتدل

المسلمون في بيروت

****

فاز الأنـــام وارخـوه بمقصـــد

هلك الشـقي والى جهنم قد رحـل
وأما أهل بيروت فلقـــد وقع عليهم موت الجزار كمثل الصاعقة القاتلة ، وراح شاعرهم يصور مشاعرهم في هذه المناسبة الاليمـة بقوله :

يا أيهـــا الجزار أعنـاق المـدى
يا من هـوى السـادات والامجـاد
هم أهـــل بيروت الذيـــن تزينت
منهـــم بدر عطـــائك الاجيـــاد
وملـكتهم وودادهـم لك صـــادق
ما أن لهم فيمن ســـواك وداد
لا نقص فيـه ولست فيـــه مشاركا
بل فيــك دومـــا لم يـزل يزداد
ولقد خدمتـك مادحـا بقصـــيدة
ومديح مثلك في الانـام رشـــاد

وبعد موت الجزار بزمن قليل أخذ الوضع الديني في بيروت يتجه لصالح الوجـــود النصراني على حساب الوجود الاسلامي ، حتى اذا كانت سنة ١٨٣١ تطامنت أسـوار المدينة تحت وطاة فاتحها ابراهيم باشا المصري ابن عزيز مصر محمد على باشا الارناؤوطي . فقد دخلها ابراهيم بعد أن كسر بقوة جيشه أبوابها المصفحة ، ثم بادر فورا الى اباحة سكناها للنصارى ، بتشجيع من الدولـــة الفرنسية التي كانت وراء حملته على سورية ، فتدفق هؤلاء اليها منحدرين من قنن لبنـــان وسفوحه بلهفة وشوق دون أى عائق أو مانع ، متخذين من حنـا البحرى الذى استخلصـه ابراهيم باشا لمشورته مفتاحا لقلب القـائد وقلب المدينة في آن واحد ، وما كادت سنوات القرن الثامن عشر تشارف نهايتها وسـنوات القرن التاسع عشر تواجه بدايتها حتى أصبح سكان بيروت يتقاسمهم الدينان الاســلامي والنصراني .

وعندما أجبر ابراهيم باشا على الجلاء عن المدينة في تراجعه عن سائر فتوحاته بسورية والاناضول ، كانت الدول الغربية تمسـك بزمام المبـادرة في السياســة العثمانية ، وتوجهها وفق وصية القائد الصليبي لويس التاسع الذى لاقى حتفه في تونس خلال آخر حملة صليبية ضد الاسلام والعرب . وكانت وصيته تقضي بابعاد المسلمين عن الشواطيء الشرقية للبحر الابيض المتوسط الذى حولته الفتوحات الاسلامية الى « بحر العرب » بعد ان كان يسمى قبلا « بحر الروم » .

وعلى هذا فان ظاهرة تهافت النصارى على دخول بيروت وسكناها لم تكن عادية ولا عفوية بل أنها جاءت نتيجة مدروسة لمخطط غـربي قديم ، تواضع على اعداده وتنفيذه زعمـاء السياسة الاوروبية في حينه ، واجتهدوا في افتعال المبررات المحلية لنجاحه على الوجـه الذى رسمته لهم من قبل وصية لويس التاسع الذى يلقبونه « بالقديس » ، بينما كان ممثلوهم القنصليون في البلاد السورية بدمشق وحلب وبيروت يتعاونون فيما بينهم على تنســيق أعمالهم في هـذا الصدد ، وستر أغراضهم الحقيقية بمناورات سياسية ، ظاهرها التعاون مع السلطات العثمانية لاقرار الامن وعودة الهدوء الى البلاد المضطربة بالفتن الطائفية ، التى كانوا هم بالفعل من ورائها ، وباطنهــا تنظيم هجرة جماعية للعائلات النصرانية من داخل سورية الى ساحلها المحاذى لجبل لبنان ومن ثم تركيز هذه الهجرة بلباقة وهدوء وذلك في بعض قرى الجبل وبصورة خاصة في مدينة بيروت بالذات . وذلك تمهيدا لاقامة كيان من لون طـائفي معين تحكمـه بعض العائلات الاقطاعية التى استدرجت بدعايات مختلفة الى اعتناق هذا اللون ، وقد اعتنقت هذه العائلات أو بعضها ما استدرجت اليه بالفعل مما سهل أمام الغربيين تحقيق مراميهم الى حد كبير .

ففي سنة ١٨٤٠ افتعلت في دمشق فتنــة طائفية رعناء بين المسلمين والنصارى بدسائس الانكليز الخبيثة وأدت هذه الفتنة الى نزوح كثير من العـائلات النصرانية من العاصـمة الاموية باتجاه جبل لبنان وبيروت ، ثم في سنة ١٨٦٠ قامت فتنة أخرى أشد نكالا من الاولى ، ولكن في جبل لبنان هذه المرة ، حيث توزعت الادوار المؤذية بين الانكليز الذين تظـاهروا بتأييد الدروز وبين الفرنسيين الذين تظاهروا بتأييد النصارى ، وكان من نتيجة هذه الفتنة الثانية أن نفذت المرحلة الثانية من المخططات الغربية القاضية بتهجير الطوائف النصرانية الى

بيروت ، ليصبحوا بعد قليل أكثر عددا ونفوذا من أهاليها المسلمين ، وذلك تمهيدا لما حصل بعد الحرب العالمية الاولى من قيام دولة لبنان الكبير واتخاذ بيروت عاصمة رسمية لهذه الدولة .

ومنذ ذلك الحين أخذ ميزان القوى السكنية فى مدينة بيروت يميل لصالح النصارى الذين كان عددهم يربو يوما بعد يوم ، حتى أصبحوا يشكلون غالبية ملحوظة بالنسبة الى مواطنيهم المسلمين ، على أنه بالرغم من أن الغالبية العددية من سكان بيروت كانت نصرانية الا أن هذه المدينة بقيت محتفظة بسماتها الاسلامية على وجه العموم ، وكانت كلمة « بيروتى » تعنى المسلم البيروتى ، وكلمة « جبلى » تعنى النصرانى اللبنانى ، ولو أنه من سكان بيروت بالفعل .

فى تلك الفترة حدثت مضاعفات خارجية كان من شأنها أن تلقى بعض الظلال العارضة على توازن النسبة العددية بين السكان المسلمين والنصارى فى المدينة ، وهذه المضاعفات هى الاحداث العسكرية التى وقعت فى شمال أفريقيا وأدت الى احتلال فرنسا للجزائر سنة ١٨٣٢ ثم فرضها الحماية على تونس سنة١٨٨١ فلقد أحدث نزول فرنسا المتعاقب فى أرض هاتين الدولتين الاسلاميتين موجة من الذعر والاضطراب فى نفوس كل من الجزائريين والتونسيين مما حدا بكثير منهم الى مغادرة وطنهم باتجاه الشرق ، ليكونوا فى حمى دولة الخلافة الاسلامية التى كان يمثلها آل عثمان فى اسطمبول . ولقد اختار هؤلاء بلاد الشام دار هجرة لهم ، فاستقروا بدمشق حول زعيمهم الامير عبد القادر الجزائرى الذى اختارها لمقامه ، غير أن عددا منهم اثر البقاء فى بيروت ، الى جانب اخوانهم المسلمين فيها ، وكما فعل الجزائريون فعل النازحون التونسيون من بعدهم ، وما تزال أسماء « الجزائرى والمغربى » سمة على العديد من أهل بيروت حتى اليوم . الا أن كمية هؤلاء الذين استقروا فى بيروت لم تكن بالدرجة التى تؤدى الى تجاوز عدد مسلمى البلد على نصاراها ، اذ أن هؤلاء بقوا محافظين على تفوقهم العددى على مواطنيهم المسلمين .

وكما حدث فى غضون القرن الماضى بالنسبة للجزائر وتونس فان هجرة اسلامية أخرى وصلت موجاتها البشرية الى بيروت قادمة من بلاد المغرب (مراكش) عند سقوطها بيد فرنسا سنة ١٩١٢ ومن بلاد طرابلس الغرب عند احتلالها من قبل الطليان سنة ١٩١١ ، وعلى الجملة كان عدد النازحين من شمال أفريقيا العربية الى بيروت فى تزايد مستمر باستمرار الوجود الفرنسى هنالك ، وهؤلاء النازحون كانوا يشكلون فى أواخر العهد العثمانى جالية موفورة العدد ببيروت حتى أن هذه المدينة كانت تحتوى على مقبرة خاصة بهم باسم « مقبرة المغاربة » وكان مكانها فى نفس المكان الذى تقوم عليه بناية المقاصد الخيرية الاسلامية التى فيها سينما ريفولى اليوم شمالى ساحة الشهداء .

ولقد كان من بين المهاجرين الى بيروت فضلا عن المغاربة ، مسلمون من مختلف البلدان والجنسيات وهؤلاء كانوا يتركون ديارهم التى تقع فى أيدى الاجانب فى أعقاب تخلى الدولة العثمانية عنها بالحرب أو المساومة كما حصل فى جزيرة كريت وكما حصل كذلك فى مصر التى منيت بالاحتلال الانكليزى بحجة حماية عرش الخديوى من ثورة أحمد عرابى باشا سنة ١٨٨٢ ، وكثيرا ما نجد بين العائلات البيروتية المعاصرة أسماء المصرى والفيومى والدمياطى والدسوقى نسبة الى المدن المصرية التى قدموا منها منفيين أو طائعين .

ولقد ترك لنا أحد هؤلاء المصريين وهو الشيخ محمد عبد الجواد القاياتى فى مذكراته التى دونها اثناء اقامته فى بيروت وذكر فيها أن البلد فى زمانه كانت تشتمل على نحو ثمانين الفا من النصارى ونحو عشرين ألفا من المسلمين ، ومع ذلك فان معاملة النصارى لأهل الاسلام كانت معاملة فى غاية الادب والتزام التوقير للصغير والكبير لأمرين :

الامر الاول وهو الذى عليه المعول ، شهامة الطائفة الاسلامية ، وشدة غيرتها الدينية مع قلة عددها .

والامر الثانى ، مراعاة الحكام للجرى على مقتضى القوانين والنظام (نفحة البشام فى رحلة الشام ص ٢٦) .

وفى سنة ١٩٢٠ أعلن ممثل الاحتلال الفرنسى الجنرال غورو الكيان اللبنانى بصفة رسمية تحت اسم دولة لبنان الكبير ، وجعلت بيروت عاصمة لهذه الدولة الناشئة . ومن ذلك الوقت

المسلمون فى بيروت

****

انفتحت هذه المدينة عمليا أمام سيل دافق من الهجرات النصرانية تألبت عليها من مختلف الجهات والاجناس ، فلقد استقدم الفرنسيون اليها جماعات بشرية كثيفة من السريان والكلدان والاشوريين والارمن الذين تركوا مواطنهم الاصلية تحت وطأة ظروف عسكرية نشأت عن حرب الاستقلال فى تركيا ، وهيأت لهم سلطات الاحتلال أسباب الاقامة الدائمة ، سواء فى قلب العاصمة اللبنانية ، أو فى ضواحيها القريبة منها .

وبمقابل ذلك ، فان الثورة الوطنية التى عمت البلاد السورية ما بين عامى ١٩٢٤ ، ١٩٢٦ ضد الانتداب الفرنسى دفعت عددا من مسلمى دمشق والمدن التى أصابها رشاش الاضطراب الى البحث عن أمنهم ومعاشهم فى بيروت ، ولكن هؤلاء لم يكونوا من الوفرة بحيث يتأثر بها فريق دون آخر فى المدينة ، على أن بعض السياسيين اللبنانيين كانوا يعيشون فى جو عقدة نفسية بالنسبة للتوازن الطائفى فى البلد ، ومن هؤلاء الرئيس اميل اده الذى ما أن تسلم رئاسة الجمهورية اللبنانية حتى صرف كل همه لاقناع نصارى جبل لبنان بالتوجه الى بيروت ، والاقامة الدائمة فيها ، واتخذ من المركزية الادارية فى العاصمة وسيلة غير مباشرة لاستدراجهم الى تحقيق هذه الغاية التى لم تكن فى الواقع الا استمرارا للسياسة الفرنسية التى تقضى بجعل بيروت مجموعة متنافرة من الطوائف والاجناس ، كيلا تتحد كلمة الشعب فى رأى عام منسجم ضد أغراضها الاستعمارية التاريخية .

واذا نحن تابعنا مجرى تطور الاحداث فى الشرق العربى خلال بداية النصف الثانى من القرن العشرين للميلاد فانه يتبين لنا أن الاحصاءات الطائفية فى مدينة بيروت خضعت لتقلبات تتراوح بين صالح النسبة الاسلامية وبين صالح النسبة النصرانية .

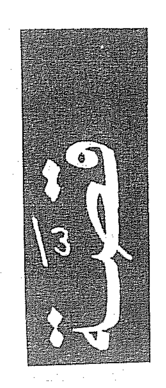
فعندما وقع الانقلاب العسكرى ضد النظام الملكى فى مصر سنة ١٩٥٢ بادر غالب المصريين الذين تحدروا من أصل لبنانى ، ويكادون يكونون جميعا من النصارى ، بادر هؤلاء الى مغادرة مصر الى بيروت حيث منحتهم السلطات اللبنانية الجنسية اللبنانية على أساس أنهم يستردون جنسيتهم الاصلية ، قبل أن يغادر أباؤهم لبنان الى مصر ، للعمل فى خدمة الدوائر الانكليزية التى كانت تحتاج اليهم كتراجمة وموظفين فى دوائر الاستعلامات ، أو فى الدوائر التى لا تطمئن الى وجود أبناء البلد المصريين فيها . وعدد هؤلاء المتمصرين العائدين الى بيروت يتجاوز عشرات الالوف ، وقد أصبحوا عمليا من أهالى بيروت وسكانها ، لهم نفس الحقوق التى لهؤلاء ، وعليهم نفس الواجبات ..

ثم انه عندما انتقل النظام المصرى الى سورية بسبب اندغام البلدين فى وحدة سياسية تامة تكررت نفس الظاهرة ، ولكنها هذه المرة كانت تحمل فى تضاعيفها مزيجا اسلاميا نصرانيا من الافراد الذين وجدوا فى النظام الاقتصادى اللبنانى الحر متنفسا لنشاطهم المالى الذى لم يعد يجد له متسعا فى البلاد السورية التى وضعتها الوحدة مع مصر فى اطار التجربة الاشتراكية للاقتصاد الموجه .

واذا انتهينا الى واقع بيروت فى الوقت الحاضر فاننا نلاحظ بأن السياسات الغربية المتلاحقة قد أفلحت الى حد كبير فى ابراز هذه المدينة على النحو الذى يتفق ومخططاتها القديمة ، اذ أن نسبة سكانها المسلمين الى مواطنيهم النصارى لا تكاد تتجاوز الثلث ، وهذا يبدو جليا من خلال توزيع المقاعد النيابية حسب جداول الناخبين البيروتيين .

أما من الناحية العملية فان هذه النسبة لا تمثل الواقع العملى ، لا سيما بعد الاحداث الفاجعة التى وقعت بفلسطين سنة ١٩٤٨ هذه الأحداث التى اقتلعت عشرات الالوف من أبناء البلاد المقدسة ، وجعلتهم لاجئين فى بيروت ينتظرون مصيرهم المجهول داخل مخيمات البؤس والشقاء المبثوثة فى العراء محرومين من كل وسائل الحياة الانسانية الكريمة فى المدينة التى تضاهى ببذخها وترفها أرفع المستويات الحضارية فى العالم ..

أما بعد ، فانه أيا ما كانت الارقام التى تمثل عدد المسلمين أو عدد النصارى فى بيروت فان هؤلاء وأولئك يعيشون بعضهم الى جانب بعض تحت لواء وارف من الاخوة الوطنية الصادقة التى تشدهم فى عروة وثقى من حب مدينتهم والاخلاص لرقيها وازدهارها وتطورها.



زوجتان صالحتان

تأليف : الأستاذ علي أحمد باكثير

في بيت أم حكيم وعندها ابنة عمها الفاختة

أم حكيم : اياك يا بنت عمي أن تتبعيه حتى يشهد أولا أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله .

فاختة : لعلي أن تبعته أن أعطف قلبه الى الاسلام .

أم حكيم : كلا يا فاختة انك ان تبعتيه فسيحاول هو أن يفتنك عن دينك .

فاختة : معاذ الله أن أفتن عن دينى ولو انطبقت السماء على الأرض .

أم حكيم : فالرأي اذن أن تحرى على موقفك منه حتى يفىء الى الحق ويدخل فيما دخل فيه الناس من دين الله .

فاختة : أخوف ما أخافه ان يرتحل عن البلد كما فعل عكرمة زوجك فلا يرجى له أن يفىء الي الحق .

أم حكيم : ماذا يحمل صفوان على ذلك ؟ ان النبي صلى الله عليه وسلم لم ينذر دمه كما نذر دم عكرمة .

(يدخل صفوان بن امية دون استئذان)

أم حكيم : ماذا جاء بك يا صفوان ؟

صفوان : عجبا يا أم حكيم أهكذا تحيين زوج ابنة عمك ؟

أم حكيم : لست اليوم زوجها يا صفوان . ان الاسلام قد حال بينها وبينك .

صفوان : هبيني زائرا أفهكذا تحيين الزائر في بيتك ؟

أم حكيم : كلا ما أنت بزائر فنكرمك وانما أنت شيطان تريد أن تحملها على الكفر بعد أن أكرمها الله بالاسلام .

صفوان : هل يجمل بك يا فاختة أن تدعى بنت عمك هذه تتطاول علي ؟

أم حكيم : وما أنت يا صفوان ابن

امية ؟

صفوان : انا من المطعمين فى قريش ان كنت تجهلين .

أم حكيم : قد أبطل الله مآثر الجاهلية وأذل كبرياءها فان كنت تروم شرفا فدونك الاسلام .

صفوان : ألا تتكلمين أنت يا فاختة فتسكتي بنت عمك ؟

أم حكيم : انها لن تكلمك أبدا .

صفوان : فاختة !

أم حكيم : لقد أقسمت بالله لا تكلمك ابدا حتى تؤمن بالله ورسوله

صفوان : أحقا يا فاختة ؟

فاختة : (تؤمىء برأسها ان نعم دون كلام) ...؟

أم حكيم : ألم أقل لك ؟

صفوان : (محتدا) يا هذه هلا اهتممت بزوجك خيرا لك ؟ أليس عكرمة أحق مني بوعظك هذا وارشادك ؟

أم حكيم : واين عكرمة مني ويلك ؟

صفوان : (ساخرا) لعله نجا بنفسه خوفا منك أن تفتنيه عن دين آبائه !

أم حكيم : (**فى صرامة**) صفوان . ليس من المروءة أن تقول هذا عن صاحبك انك تعلم لماذا نجا عكرمة بنفسه وهرب .

صفوان : لأن محمدا نذر دمه فيمن نذر .

أم حكيم : فلتقل في عكرمة خيرا أو فلتصمت فأنت تعلم أنه رجل كريم .

صفوان : ان كنت تحبينه بعد فقد كان عليك ان تتبعيه حيثما ذهب .

أم حكيم : لو أعلم أين توجه لاقتفيت أثره .

صفوان : انه توجه صوب اليمن

أم حكيم : وكيف عرفت ؟

صفوان : أنا الذى جهزته يا أم حكيم .

أم حكيم : والله لاذهبن الساعة الى النبي صلى الله عليه وسلم ليأذن لي في اللحاق به .

صفوان : ويلك ان علم محمد بوجهته ليرسلن فى طلبه حتى يظفر به فيقتله .

أم حكيم : يا صفوان ان محمدا أكرم من ذلك .

صفوان : ليتني ما اخبرتك . لقد جنيت على صاحبي والله .

أم حكيم : قلت لك أن محمدا أكرم من ذلك .

صفوان : ان كنت تحبين زوجك حقا فلا تعرضيه للهوان والقتل .

أم حكيم : قد استأمنت له من محمد فأمّنه .

صفوان : أمّنه ؟ أمّن عكرمة ابن ابي جهل ؟

أم حكيم : أجل لو كان أبو جهل نفسه حيا اليوم والتمس الامان من محمد لأمنه (لفاختة) أنا ماضية يا فاختة (تتهيأ للخروج)

فاختة : خذيني معك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

صفوان : ابق قليلا معي يا فاختة

فاختة : (تهم بالكلام ثم تتذكر يمينها فتلتفت الى أم حكيم) هيا بنا يا أم حكيم (تخرج أم حكيم وفاختة)

صفوان : (يتمتم) الا أن أمرا حال بيني وبين فاختة لأمر كبير !

— ٢ —

(في مكان ما على الطريق الى اليمن)

(ام حكيم تنظر في وجوه أهل قافلة أناخت بذلك المكان كأنها تبحث عن عكرمة) .

أم حكيم : (تلمح وجه عكرمة) عكرمة !

عكرمة : (ينهض اليها) أم حكيم ! (ينتحي بها بعيدا عن بقية القوم) ماذا جاء بك الى هذا المكان القصي ؟

أم حكيم : السعي اليك يا عكرمة . ويحك أتظن أنني أستطيع العيش بغيرك ؟

عكرمة : لا حق لك أن تتجشمي هذه المشقة من أجلي .. من أجل

رجل قد نذر دمه فليس له الا الهرب الى أقصى البلاد .

أم حكيم : الى اليمن ؟

عكرمة : كيف علمت ؟ من ذا اخبرك ؟

أم حكيم : اخبرني الذى اخبرني .

عكرمة : صفوان بن أمية ؟

أم حكيم : نعم

عكرمة : تبا له .

أم حكيم : بل تبا لك أنت . هل يجمل بك يا ابن عمي ان ترحل هذا الرحيل الذي ربما لا تؤوب منه ابدا دون أن تودع زوجتك التي تحبك ؟

عكرمة : ما حيلتي يا بنت العم ؟ لقد استولى محمد على مكة ونذر دمي فيمن نذر فلم اشأ أن اشركك في مصير كنت وحدي صاحب التبعة فيه .

أم حكيم : بل كنت شريكتك في ذلك يا عكرمة . أنسيت أنني خرجت معك يوم أحد ؟

عكرمة : ذاك يا بنت عمي يوم كان لنا الحول والقوة .

أم حكيم : تبا لك . أوقد هان عليك أن تفارقني الى غير لقاء ؟

عكرمة : لا ورب هذا البلد الذي استولى عليه محمد ان فراقك على لشديد ولكن ماذا أصنع ؟ انه قاتلي لو بقيت . ولخير لى أن أعيش بعيدا عنك عسى أن ألقاك يوما ما من أن أقتل بين يديك فتلبسي الحداد علي .

أم حكيم : ويحك يا عكرمة . ما كان ينبغي لك أن تيأس من عفو محمد فقد عفا عن الكثير ممن كانوا أعداءه

عكرمة : كلا ليس أحد منهم مثلي . لقد كنت أشد الناس أذية لمحمد وعداوة له وكان أبي عدوه الالد حتى لقبه محمد وأصحابه بأبي جهل .

أم حكيم : انك ما زلت تنظر فى محمد رجلا من قريش انتصر على قومه فهو يعاقب من يشاء ويعفو عمن يشاء .

عكرمة : مهما يكن من شأنه فلا يعدو أن يكون كذلك .

أم حكيم : كلا يا عكرمة انه نبي يوحى اليه وهدى للناس ورحمة .

عكرمة : قد علمت أنك صبأت يا أم حكيم .

أم حكيم : بل أسلمت وآمنت أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله ومصطفاه .

عكرمة : فمن الخير الا تصلي حبالك بحبال رجل لا يؤمن كما آمنت .

أم حكيم : ويلك يا ابن عمي المثلى تقول هذا القول ؟ الم تكن تحبنى يا عكرمة ألم أكن أحبك ؟

عكرمة : بلى والله ومن أجل ذلك تركتك وما اخترت لنفسك من هذا الدين الجديد .

أم حكيم : لست والله اولى به منك يا عكرمة . أنت بما وهبت من عقل وحكمة أجدر ان تتبع الهدى وتدعوني أنا اليه . انشدك الله يا ابن عمي بما بيننا من مودة ورحمة ، الم يلق فى روعك بعد أن محمدا على حق فيما دعا اليه وانه يدعو الى الخير والهدى والرشاد ؟

عكرمة : اما وقد حلفتني باعز شيء عندى فوالله لأصدقنك الحديث ، انى لأعلم يا أم حكيم أن محمدا لكما وصفت .

أم حكيم : فما يمنعك أن تعلن ذلك له وتدخل فيما دخل فيه الناس ؟

عكرمة : بعد ما أهدر دمى يا أم حكيم ؟

أم حكيم : أو هذا وحده هو الذي يمنعك ؟

عكرمة : نعم .

أم حكيم : فالحمد لله اذن . انك عائد معي الى محمد يا عكرمة .

عكرمة : ماذا تعنين ؟

أم حكيم : اني جئتك يا ابن عمي من عند أفضل الناس وأبر الناس

وخير الناس قد استأمنت لك منه .
عكرمة : ورضى أن يؤمننى ؟
أم حكيم : فهلم يا عكرمة نسرع وجهه .
عكرمة : ان يكن ما تقولين حقا فوالله ما يصدر هذا الا عن نبي ؟
أم حكيم : فهلم يا عكرمة نسرع بالعودة .

— ٣ —

(فى مكة . صفوان بن أمية وفاختة)
صفوان : أتدرين يا فاختة أن حبك في قلبي قد زاد فصار أضعاف ما كان ؟
فاختة : بعدما هداك الله للاسلام
صفوان : أجل
فاختة : فلتحب محمدا صلى الله عليه وسلم خيرا مني يا صفوان .
صفوان : والله اني لأحبه . لقد شهدت حنينا وما فى الأرض أبغض الىّ من محمد وانصرفت من حنين وما فى الأرض أحب الىّ منه .
فاختة : (ممازحة) لأنه أجزل لك العطاء من غنائم هوازن ؟
صفوان : لا والله يا فاختة . ان المال لا قيمة له عندي كما تعلمين ولكن ما شهدت من شجاعته وثباته لما حمى الوطيس وانهزم عنه الناس فبقى وحده في نفر قليل وهو يقول في صوت قوى مطمئن : الى أيها الناس الى أيها الناس انا النبى لا كذب أنا ابن عبد المطلب . حتى فاء المسلمون اليه فكرّوا على المشركين . حينئذ أيقنت يا فاختة أنه نبي مرسل من عند الله .
فاختة : الحمد لله يا صفوان اذ جمعنا على الهدى والحق .
صفوان : لولاك يا فاختة لما قدر لي أن أشهد حنينا ولما خالط قلبي الاسلام فأنت يا حبيبتى صاحبة الفضل .
فاختة : بل الفضل لأم حكيم يا صفوان . هي التي شجعتني على ذلك الموقف الذي وقفته منك . وأكدت لي أنك لا تلبث أن تفيء الى الحق .
صفوان : لله درها من امرأة صدق
فاختة : ترى فى أى صقع من الأرض هي الآن ، لقد مضى على سفرها اليوم شهران ولم نسمع عنها شيئا .
صفوان : انها شقة بعيدة يا فاختة .
فاختة : أخشى أن تكون قد ضلت الطريق أو لقيت فيه ما تكره .
صفوان : اطمئني يا فاختة فانى قد أوصيت بها رجالا أعرفهم كانوا يقصدون اليمن .
فاختة : سمعت يا صفوان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد اعتزم السفر قافلا الى المدينة .
صفوان : أجل .. بعد يومين أو ثلاثة فيما سمعت .. استعدى يا فاختة فسننضم نحن الى ركبه .
فاختة : الا ننتظر أم حكيم وزوجها حتى يقدما الى مكة .
صفوان : لا يا فاختة . خير لهما أن نسبقهما الى المدينة لنهيىء لهما ما يجب .

— ٤ —

(في المدينة المنورة بعد رجوع النبي اليها من فتح مكة وغزوة حنين)
صفوان : (يدخل بيته في المدينة) أبشرى يا فاختة .
فاختة : أوقد رجعت من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟
صفوان : نعم
فاختة : حدثني ماذا فعل عكرمة في المسجد وكيف لقيه النبي صلى الله عليه وسلم ؟
صفوان : أوجز لك أم أسهب ؟
فاختة : بل أسهب يا صفوان حتى كأنني أشهده معك .
صفوان : اني لجالس عند رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أصحابه

اذ دخل عكرمة لائذا بأم حكيم فوقف بعيدا وصاح : يا محمد هذه اخبرتني أنك أمنتنى فقال النبى صلى الله عليه وسلم : صدقت أم حكيم انك آمن . فتقدم عكرمة وهو يقول : اذن فهاكها يا نبى الله كلمة أعلنها من قلب مخلص : أشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وانك عبده ورسوله . فوثب النبي قائما وهو يتهلل فرحا واستنار وجهه كأنه القمر وقال : مرحبا بمن جاء مؤمنا مهاجرا .

فاختة : طوبى لعكرمة لقد لقى من تكرمة النبى ما لم يلقه أحد .

صفوان : انتظري . . ليس هذا كل ما هناك .

فاختة : حدثنى ماذا حدث بعد ؟

صفوان : لحظ النبي أن عكرمة ظل مطأطئا رأسه من شدة الحياء فقال مطيبا خاطره يا عكرمة ما تسألنى شيئا أقدر عليه الا أعطيتك اياه .

فاختة : (في اهتمام بالغ) فماذا طلب عكرمة منه ؟

صفوان : قال عكرمة استغفر لي كل عداوة عاديتكها يا رسول الله . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : اللهم اغفر لعكرمة كل عداوة عادانيها أو منطق تكلم به .

فاختة : هذا حظ لعكرمة لا مزيد عليه .

صفوان : انتظري . . ليس هذا كل ما هناك .

فاختة : ماذا أيضا . حدثني .

صفوان : سمعت الحاضرين يتناجون فيما بينهم : هذا تأويل رؤيا النبي صلى الله عليه وسلم فسألتهم عنها فحدثوني أن النبي كان قد رأى فيما يرى النائم أنه دخل الجنة فرأى فيها عذقاً فأعجبه وسأل لمن هذا ؟ فقيل : لابى جهل وانهم تعجبوا لذلك فقال لهم : ان الجنة لا يدخلها الا نفس مؤمنة فازدادوا عجبا . فلما جاء عكرمة اليوم مسلما ادركوا ان النبى صلى الله عليه وسلم قد أول رؤياه باسلام عكرمة .

فاختة : (كأنها تتذكر شيئا) وأين هما الآن ؟ أين عكرمة وأم حكيم ، لماذا لم يحضرا معك ؟

صفوان : تركتهما واقفين مع أخيك خالد بن الوليد وعجلت اليك لأبشرك

فاختة : لعلك دعوت خالدا للغداء معنا اليوم ؟

صفوان : بل سبقني ابو سليمان فدعا نفسه قبل ان ادعوه .

(يقرع الباب) ها هم أولاء . قد جاءوا .

(يفتح صفوان الباب فيدخل عكرمة وأم حكيم وخالد بن الوليد) .

(تتعانق فاختة وأم حكيم في فرح كما يتعانق صفوان وعكرمة) .

خالد : (ينظر اليهم ضاحكا) ويلكم تركتموني دون ترحيب ولا تأهيل .

صفوان : معذرة يا ابا سليمان لقد شغلنا الفرح عن ذلك .

فاختة : (تحيى أخاها) مرحبا بك يا خالد . لا شك أنك فرح بما تم اليوم لعكرمة ابن عمك .

خالد : اي والله ما شهدت كاليوم سرورا وبهجة . هذا يوم من أيام مخزوم .

صفوان : لله در نسائكم يا بني مخزوم ، يسبقن أزواجهن الى الاسلام ثم يجاهدن حتى يفيء أزواجهن الى الاسلام .

خالد : الحمد لله (يلتفت الى عكرمة) كيف تجد نفسك الآن يا عكرمة ؟

عكرمة : (في تأثر شديد) ماذا أقول يا ابا سليمان ؟ أجدني كأنما ولدت من جديد حين وضعت يدي في يد خير الناس وأبر الناس وأكرم الناس .

« ستار »



في الرضـــاع

الســـؤال : ـــ

رجل رضع من جدته لأبيه ويريد التزوج من ابنة عمه الشقيق ، فهل يحل له التزوج بها ، أو تحرم عليه لأن جدتها أرضعته ، وأرضعت والدها .

صهيب أسعد سويدان ــ سوريا

الاجابـــة : ـــ

يحرم على هذا الرجل التزوج من ابنة عمه هذه لأنه برضاعه من جدته لأبيه اصبح اخا من الرضاع لعمه والد البنت ، فصارت بهذا بنت أخيه قال عليه الصلاة والسلام « يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب » .

نقـل المحرمات

الســـؤال : ـــ

رجل مسلم مساهم في شركة للبواخر ، ثبت له أن هذه البواخر تنقل أحيانا المحرمات كالخمر والخنزير ، فما الحكم ؟

الاجابـــة : ـــ

لا يجوز لمسلم أن يعين على اثم ، أو أن يكون سببا فيه ، لقولــه تعالـى « وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان » .

والخمر والخنزير محرمان في الشريعة الاسلامية وكما يحرم تناولهما يحرم بيعهما وحملهما لما رواه أبو داود عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (ان الله حرم الخمر وثمنها ، وحرم الميتة وثمنهـا ، وحرم الخنزير وثمنه) .. وقال « لعن الله الخمر وشاربها وبائعها ومبتاعهـا وعاصرها ومعتصرها وحاملها والمحولة اليه » . رواه أبو داود والترمذى .

ومن هذا يفهم أن الوسيلة الى الحرام أو الاعانة عليه حرام .

وعلى ذلك فأجر نقل الخمر والخنزير محرم . ويجب على من أسهم فى هذه الشركة الا يقبل أجر نقلهما اذا أمكن تمييزه ، فاذا قبله كان مرتكبا للاثم ومعينا عليه . اما اذا لم يمكن تمييزه أو كان هذا الاجر تركه يضر بصالح الشركــة أو اقتصاد البلاد ضررا بالغا ، فلا شيء فيه ويكون قبوله حينئذ من باب الضرورات التي تبيح المحظورات .

في الميراث

السـؤال : ـ

توفيت امرأة عن الآتي بيانهم :

أم ، أخ لأم ، أخت لأم ، أخوين شقيقين ، ثلاث أخوات شقيقات فكيف توزع التركة ؟

ع. ع. ب
الكويت

الاجابـة : ـ

١ ـ الأم لها السدس فرضا لوجود جمع من الأخوة .

٢ ـ الأخ والأخت لأم لهما الثلث بالتساوي بينهما .

٣ ـ الباقي للأخوة الأشقاء الذكور والأناث للذكر ضعف الأنثى .

السـؤال : ـ

ورد من السيد / م. ح. أبو الريش من ج. ع. م السؤال الآتي .

يرغب الزواج من ابنة أحد أقاربه ـ ولكن والدته اخبرته بأنها أرضعت اخا لهذه البنت وانه هو لم يرضع من أمها فما حكم الشريعة ؟

الاجابـة : ـ

الحكم الشرعي في التحريم بسبب الرضاع ثابت بالكتاب والسنة ، قال تعالى في آية التحريم في سورة النساء ((حرمت عليكم ... وأمهاتكم اللاتى أرضعنكم وأخواتكم من الرضاعة)) .

وقال صلى الله عليه وسلم ((يحرم بالرضاع ما يحرم بالنسب)) .

وبما أنك لم ترضع من أم البنت التي تريد الزواج منها ، كما أنها لم ترضع من والدتك فلا تكون أختا لك من الرضاع بل أنت أخ من الرضاع لأخيها من النسب وهذا غير مانع من زواجك بها شرعا فتزوج بها على بركة الله .

السـؤال : ـ

توفى رجل عن أربعة أولاد ذكور ، وثلاث بنات ، وزوجة ، وأولاد ابنه المتوفى قبله (ذكر وبنتين) فمن يرث من هؤلاء ومن لا يرث وما نصيب كل وارث .

محسن أحمد ضالعي
الجنوب العربي

الاجابـة : ـ

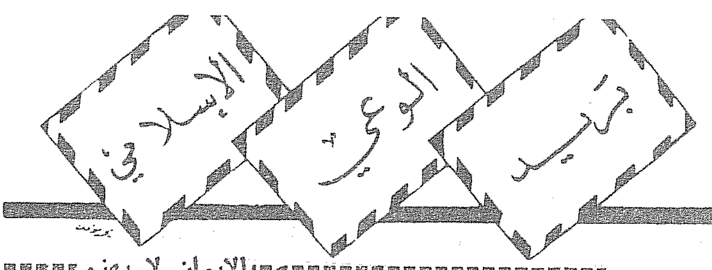
توزع تركة الرجل المذكور على النحو التالى :

١ ـ تأخذ الزوجة ثمن التركة فرضا لوجود الفرع الوارث . قال تعالى (فان كان لكم ولد فلهن الثمن مما تركتم) .

٢ ـ يأخذ أولاد المتوفى السبعة باقى التركة . للذكر مثل حظ الأنثيين قال تعالى . (يوصيكم الله فى أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين) .

اما أولاد الابن الذين توفى أبوهم قبل وفاة جدهم فلا يأخذون شيئا من التركة لأنهم محجوبون بأعمامهم الاعلون درجة منهم ، الا اذا أخذ بقانون الوصية الواجبة الذي مر ذكره في الفتوى السابقة .

اشراف رضوان البيلي



الايمان لا يهزم

اننى منذ النكسة ، وانا فى حالة نفسية يرثى لها .. رؤى تفزعنى بالليل ومشاهد كئيبة تتمثل لى بالنهار ، واوهام وهواجس تزحم خيالى ووجدانى واستفسارات تتوارد على عقلى وفكرى .

وقد حاولت أن أطب لنفسى . بقراءة القرآن والصلاة حينا ، وبشغل أوقات فراغى بمطالعات مختلفة حينا آخر ، ثم بالرياضة وممارسة بعض الهوايات غير أن ذلك كله لم يجد .

واخشى ما أخشاه على ايمانى ودينى .. ان الاسئلة التى تفرض نفسها على لا أجد لها ردا مقنعا يطفىء نار القلق والحيرة التى أصطلى لظاها .. ألسنا من بين أصحاب الديانات المختلفة ــ الامة الوحيدة التى تعبد الله على حق ، فان هلكنا فلن يعبد الله فى الارض ؟. ألسنا أهل الحق وأصحاب الحق فلماذا لم ننتصر ؟

هل نحتاج الى عشرين سنة أخرى فى الاعداد للمعركة الفاصلة ؟.. الى غير ذلك مما أستغفر ربى منه ، وأستحى من التصريح به ..

وقد كتبت اليكم لتعيدوا الطمأنينة الى قلبى ، والثقة الى نفسى ، والاقتناع الى عقلى .

عمر النابلسى
نزيل الكويت

هذه واحدة من عشرات الرسائل التى وردت الى هذا الباب ، وكلها تدور فى هذا المعنى ، وتعكس القلق النفسى الذى تركه العدوان الصهيونى الاخير ، وهناك مئات الرسائل من هذا النوع لم ينقلها البريد لانها لم تكتب ، ولكنها موجودة . مقروءة فى وجوه الناس ، ومسموعة فى أحاديثهم ، ومرئية فى انفعالاتهم ، ويرجع شيوع هذه الظاهرة . ظاهرة القلق والحيرة ــ الى أن الحرب ــ القائمة بيننا وبين الصهاينة يشارك فيها من قرب ومن بعد كل مسلم من الستمائة مليون مسلم الذين يعيشون على ظهر هذه الارض .. يشارك فيها بروحه وشعوره واحساسه لأنها حرب متميزة بطابعها الدينى الذى يملأ قلوب المسلمين ــ أينما كانوا ــ بالثقة والرجاء فى تحقق وعد الله لهم بالنصر .

ان كل مسلم كان يعلق آمالا كبارا على معركة الخامس من حزيران الماضى وكان لا يداخله شك فى أن هذه هى المعركة الفاصلة بين العرب أو بين المسلمين والصهاينة ، وساعد على الجزم بهذه النتيجة مسبقا عدة عوامل . أبرزها ــ بعد الايمان بعدالة قضيتنا التى نخوض الحرب من أجلها ــ طول فترة الاعداد التى سبقت المعركة ، وهى تناهز العشرين عاما من تاريخ النكبة سنة ١٩٤٨ .. ثم التطورات الجذرية . السياسية والعسكرية والاقتصادية والاجتماعية التى حدثت فى المشرق والمغرب العربيين فى هذه الفترة . هذا بالاضافة الى قوة التضامن العربى فى الشدائد كما تجلى ذلك بصورة رائعة فى العدوان الثلاثى على بور سعيد سنة ٥٦ وفعالية هذا التضامن فى حماية المنطقة العربية ، ونجاحه فى مقاومة الاخطار التى تهددها ، ومما لا شك فيه أنه كان لأجهزة الاعلام العربية دور كبير فى التأثير على نفوس العرب والمسلمين ، وقد نجحت هذه الوسائل

الاعلامية ــ عن حسن قصد ــ فى تضخيم قوتنا والاستخفاف بعدونا وتصويره بصورة الفار الذى وقع فى المصيدة .. كل هذه الاسباب وغيرها لم تترك عند الجماهير المسلمة أدنى شك فى أن عدونا بين فكى (الكماشة) واننا سنصبح غداة المعركة فى تل أبيب .

فلما وقعت الواقعة ، وجاءت نتيجتها بهذه السرعة مخيبة للآمال كانت الصـــدمة لشعور المسلمين قوية ، وكان رد فعلها فى نفوسهم عنيفا وقاسيا ، وجاء فشل المنظمات الدولية فى ايقاف العدوان وردع المعتدين مضاعفا لعنف الصدمة وخيبة الآمال ، ولم يفت العدو الخبيث أن يستغل هذه الفرصة ، فشن علينا حربا نفسية ليحطم من معنوياتنا ، ويفل من عزائمنا ، ويبذر بذور اليأس فى قلوبنا حتى نستسلم ، وقد نجحت هذه الحرب النفسية ــ الى حد ما ــ فى التأثير على أعصاب قلة من المسلمين وكان من آثرها ما تحس يا سيد « عمـــر » من رؤى مفزعة ، ومشـــاهد كئيبة ، وهواجس وأوهام تزحم خيالك ، وتقتحم وجدانك .

ولو انك اســـتعرضت الوقائع والحروب القديمة والحديثـــة ، بل لو طالعت تاريخ أمتنـــا الاسلامية ، وما خاضته من غزوات وفتوحات . وخاصة تاريخ فلسطين وبيت المقدس ــ لمـــا كان لهذه النكسة هذا الاثر على أعصابك وتفكيرك .

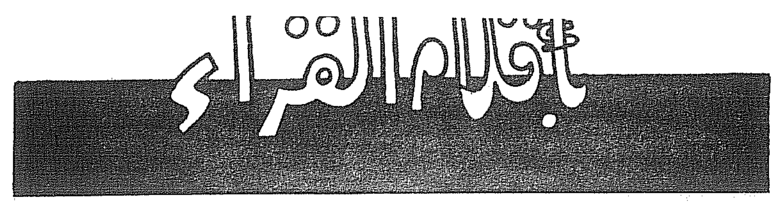
لقد خرج بيت المقدس من الحكم الاسلامى قرابة مائة عام ، وتوالت على سكان فلسطين أهوال ونكبات تنزف بها صفحات التاريخ دما أحمر قانيا ، ومع ذلك لم ييأس المسلمون ، ولم يقنطوا ، ولم تهتز أعصابهم هذه الهزة العنيفة التى أصابتك ، بل صبروا ، وصابروا ، وصمدوا للتحديات ، واعتصموا بايمانهم ، وجاهدوا فى الله حق جهاده حتى انتصروا على أعدائهم ، وأعادوا بمـــا بذلوا من تضحيات غالية أعادوا الارض المباركة الى دار الاسلام وحكم الاسلام ، وبحول الله وقوته وبتوفيقه لنا لاستكمال أسباب النصر سيعود بيت المقـدس وفلسطين الى حوزة الاسلام وسنزيل العدوان وآثار العدوان ، ويتحقق وعيد الله وانذاره لبنى اسرائيل ، وسنسىء وجوههم وندخل المســجد الاقصى ونتبرهم تتبيرا لأنهم عادوا وعاثوا فى الارض فســـادا والله يقول لهم « وان عدتم عدنا » .

وما أظن أن الذين أصابهم القلق والحيرة فى حاجة ماسة الى الاقتناع بعد ان كشفت لنـــا الجولة الثانية مع العدو الاسباب والاخطاء التى أدت الى هذه النتيجة فان أسباب النصر المعنوية والمـــادية لم تجتمع لنا قبل المعركة حتى تكون نتيجتها محيرة ومقلقة وغير منطقية ولا معقولة .. ان جميع القادة والمسئولين آمنوا بأنه كانت هناك أخطاء ونقص ، ومن أجل تدارك هذه الاخطاء ما نرى من النشاط بين القادة والمسئولين الذى يبدو فى تنقلاتهم واجتماعاتهم ومؤتمراتهم استعدادا للجولة الاخيرة والفاصلة مع العدو باذن الله .

وتعرض الرسالة بعد ذلك للايمان المهتز الذى ترجم عنه كاتبها فى صورة أسئلة تفرض نفسها عليه ، وهواجس يخشى منها على دينه وايمانه ، وقد غاب عنه أن الايمان يربو على الشدائد ، ولا يهتز ، ويقوى فى الازمات ولا يضعف ، وان أظهر الدلائل على صدقه رسوخه فى الاعاصير ، وثباته فى الزلازل ، وصموده فى الفتن الهوج . والايمان الذى لا يصمد فى التجربة ولا يثبت على المحن ، ولا يقوى على احتمال الشدائد ــ ايمان سطحى ، لم يبلغ بعد تمامه وكماله ، وقد جرت سنة الله فى خلقه أن يجعل من تعارك الخير والشر وتصارع الظلم والعدل فى الحياة الدنيا ميادين لتمحيص المؤمنين وتدريبهم « ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو أخباركم » .

ان تاريخنا الاسلامى لم يبدأ بالانتصارات والفتوحات ، ولا بالمغانم والاسلاب ، ولا بحدث من الاحداث الكبار التى حدثت فى حياة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وانما ابتدأ تاريخنا بأقسى الشدائد وأعنف الازمات وأحرج اللحظات . بدأ بحادث بلغ فيه الاضطهاد والظلم منتهاه . بدأ بيوم ثانى اثنين اذ هما فى الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا فانزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى ، وكلمة الله هى العليا والله عزيز حكيم .

ان الايمان حقيقة ذات تكاليف ، وأمانة ذات أعباء ، وجهاد يحتاج الى صبر ، وجهد يحتاج الى احتمال ، وان انتصار الايمان والحق فى النهاية تكفل به وعد الله ، وما يشك مؤمن فى وعد الله ، فان أبطأ النصر فلحكمة مقدرة فيها الخير للايمان والمؤمنين .



تلقينا من الشيخ محمد سليمان الأشقر أمين المكتبة العامة لوزارة الأوقات والشئون الاسلامية بالكويت الكلمة التالية تعقيبا على ما نشرناه فى العدد الماضى تحت عنوان « وتحسبونه هينا » لفضيلة الشيخ نديم الجسر مفتى طرابلس بلبنان .

اطلعت على ما كتبه الشيخ نديم الجسر فى مقاله (وتحسبونه هينا) المنشور فى عدد جمادى الاولى من مجلة الوعى الاسلامى حول منزلة علماء الدين فى المجتمع الاسلامى ، ومقترحاته لاصلاح الوضع ، ومع اننى أوافق الشيخ كل الموافقة على أن العلماء بشريعة الله ودينه ينبغى أن تكن لهم كل الاحترام والتوقير ، وقد كان الرجل اذا تعلم سورة البقرة وأصبح بها عالما عظم فى أعين الصحابة والتابعين .

الا أن تحليل الشيخ الفاضل لأسباب الفتنة ، واقتراحاته لتلافيها ، بحاجة الى مزيد من التامل .

وأساس البحث عندنا ينبغى أن يكون مرتكزا على الحياة التى كان يحياها النبى صلى الله عليه وسلم والعلماء من صحابته فى المجتمع الاسلامى ، فما وافق تلك الحياة فهو وضع صحيح ، وما لا ، فوضع غير صحيح .

فمن الاسباب التى لا بد من اعتبارها لنشوء الوضع المنحرف ، انعزال علماء الدين عن الحياة ونشاطاتها المختلفة ، فبينما كان النبى صلى الله عليه وسلم والعلماء من أصحابه هم قادة المجتمع ، والمقدمين فى ميادين الادارة والسياسة والحرب والتعليم ، ليتجهوا به الوجهة الصحيحة ، اذ بنا نرى علماءنا — غالبا — ينظرون الى تلك الامور نظرة من لا صلة له بها .

وبينما كان النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه يمارسون بأيديهم مختلف أنواع الاعمال التى تتطلبها الحياة — فكانوا يركبون الخيل والابل ، ويستعملون آلات الحرب والقتال ، ويتدربون على السباق ، والسباحة والرماية ، ويتاجرون ويفلحون الارض ويمارسون الصناعة — أو بتعبير آخر — كانوا هم أصحاب الفعالية فى مجتمعهم ، اذ بنا نرى علماءنا يقفون موقف المراقب للحياة الناقد لها الذى لا يتدخل فيها الا بقدر ما يقول فيها بلسانه أو يكتب فيها بقلمه أو بعبارة أخرى أصبحوا سلبيين من ناحية فعاليتهم فى الحياة . وقد أصبح هذا السلوك عرفا مقررا بيننا . ودليل ذلك ، الاستهجان الذى يراه العالم من نفسه ويراه منه غيره عندما يلبس زى العلماء ويركب دراجة مثلا أو يسوق سيارة ، أو يمارس السباق أو الرياضة أو النشاطات الترفيهية .

وناحية أخرى قريبة من هذه كانت سببا فى وضع العلماء بالدين فى الوضع الذى ذكره الشيخ الفاضل ، وهو أن بعض المعاهد الدينية اقتصرت منذ مدة طويلة ، والى وقت قريب ، على التعليم الدينى واللغوى ، وأغفلت تعليم الناشئة مبادىء العلوم الكونية والتطبيقية التى تعطى نظرة صحيحة الى الواقع . وكان من نتيجة هذا أن تخرج أجيال من العلماء متبحرون فى العلم الدينى ، ولكنهم لا يعرفون أبجدية الحياة ، ونشأ عن ذلك « الدروشة » و « الفقر » و « الحاجة الى الرواتب » و « الأبواب التى لا تليق » كما ذكر الشيخ الفاضل . وأصبحوا أحوج الناس الى المساعدات والجرايات والوظائف لعجزهم عن الاكتساب من الطرق الطبيعية للكسب .

ولست أعنى جميع من ينتسب الى العلم الدينى بكلامى هذا ، فقد وجد أفراد يمثلون نسبة ضئيلة ، خرجوا على هذا الوضع ، وانما حديثى عن الصبغة الغالبة على العلماء الدينيين .

أما تعليقى على المقترحات الخمسة فينحصر فى أمرين :

١ — ما يتعلق بالزى ، فلا أرى أن يكون للعالم الدينى زى خاص يفصله عن مجتمعه ، لأنه اذا جعلنا الوضع الاجتماعى فى صدر الاسلام الاول مقياسا للخطأ والصواب فى هذه الناحية ، فان النبى صلى الله عليه وسلم لم يكن يتميز عن أصحابه بزى خاص ، وقد علم من سيرته صلى الله عليه وسلم أن الاعرابى كان يأتى الى المسجد النبوى فيسأل الجالسين : أيكم ابن عبد المطلب ؟ وذلك أن النبى صلى الله عليه وسلم لم تكن له شارة أو ميزة خاصة فى مجلسه أو ملبسه كما نرى

الآن المتميزين من علمـائنا . وكان صلى الله عليه وسلم يقول : انى أكره أن أرى متميزا عن أصحابى .

٢ ـ أرى القضاء نهائيا على فكرة انفصال العلم الدينى عن علوم الحياة ، فالدين توجيـه للحياة وتصحيح لها ، والقضاء على السلوك الانفصالى لعلماء الدين عن واقع الحياة ، وتأهيلهم لخوض معركتها بالتعليم المهنى والادارى والعسكرى ، فهذا أقرب للعمل بسنة النبى صلى الله عليه وسلم وأشد تحقيقا لأهداف الاسلام ، وأدعى لتعزيز مكانة العالم الدينى وتوقيره ، وبالتالى لتعزيز مكانة الدين نفسه وتوقيره .

والحق أنها مشكلة عظمى فى مجتمعنا المتجافى عن الدين تجافيا مزريا ، وهى مشكلة أهل لأن توفر لها الصحافة الاسلامية جل اهتمامها . وانا لنرقب من « الوعى الاسلامى » وشقيقاتها تسليط الأضواء بقوة على هذا الركن من حياتنا ، فان تصحيح هذا الوضع هو من ترسيخ أسس النهضة .

الجهاد فى سبيل الله

وتحت هذا العنوان أرسل الينا الأخ أحمد حسن القضاة بالكلية العسكرية الملكية بالاردن كلمة نقتطف منها ما يأتى :

ما من دعوة خيرة فى الارض ، الا وتلقى فى طريقها حواجز وموانع ، تمنعها من السير قدما ، فتلجأ تلك الدعوة عندئذ الى الكفاح والنضال لتحطيم تلك الحواجز وكسر تلك الموانع التى تعترضها . ناهيك بدعوة السماء . دعوة الاسلام ـ ذلك الدين القيم الذى ارتضاه الله تعالى خاتما للأديان وهدى ورحمة للعالمين ـ أحر بدعوته أن تحطم كل الحواجز والموانع من طريقها ، وأن يكون الجهـاد وسيلة من وسائلها لنشرها بين البشر ..

والآيات التى تحض على الجهاد كثيرة ـ قال تعالى : « يا أيهـا النبى حرض المؤمنين على القتال » . وقال : « يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم . تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون فى سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون » . وقال صلى الله عليه وسلم : « الجهاد ماض مذ بعثنى الله الى أن يقاتل آخر أمتى الدجال ، لا يبطله جور جائر ولا عدل عادل » . وفى ذلك تأكيد لحكم الجهاد بغض النظر عن كون الحاكم عادلا أو جائرا .. وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أول المجاهدين ، منذ أن اجتباه ربه لحمل لواء الدعوة حتى قبض اليه . كما ضرب أصحابه والرعيل الاول من المؤمنين أروع الامثلة فى تلبية داعى الجهاد ، والتضحية بالنفس والمال ، فنشروا دين الله فى أرجاء الارض . وكانت أول تجربة (عملية) للجهاد بمعناه الشامل ، معركة بدر الكبرى ، يوم انتصرت القلة المؤمنة على الكثرة المشركة ، ثم تلت بعدها المعارك والفتوحات والانتصارات ..

وأن الحق لا يعلو فى أى مجتمع ، كما أن الباطل لا يبطل بمجرد عرض البيان النظرى لذلك الحق أو ذلك الباطل ، بل يكون بتحطيم الباطل واعلاء الحق . قال تعالى : « ويريد الله أن يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين . ليحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون » .

وقد بين لنا القرآن الكريم والسنة الطاهرة ، كما اثبت لنا التاريخ أن الجماعة المسلمة اذا نصرت الله تعالى وانطلقت فى نشر دعوته ، ينصرها الله على أعدائها ، وييسر لها من مقومات النصر ما يعوضها عن قلة العدد والعدة . قال سبحانه : « ان ينصركم الله فلا غالب لكم » .

فما أحوجنا فى هذا الزمان ، بل فى هذه الايام بالذات ، الى الرجوع الى الاسلام ، والى التمعن فى آيات الله البينات والتدبر لأحكامها ومعانيها ، ثم الى التأسى برسولنا الاعظم صلى الله عليه وسلم ، لناخذ من ذلك كله دروسا وعظات ، تنفعنا غدا فى جولتنا مع العدو المشترك ، حتى يكون النصر حليفنا باذن الله .

والثبات يا أخى الثبات فى المعركة شـهادة صادقة للمؤمن ، تدل على صدق ايمانه ، وهو يعرف أنه يقابل عدوا يألم مثله ، ولكن المؤمن يرجو من الله ما لا يرجو ذلك العدو الكافر . فالمؤمن يسعى لواحد من اثنين : اما النصر والغلبة على أعداء الله ، واما الشهادة والموت فى سبيل الله ، بينما عدوه لا يريد الا الحياة الدنيا ، ولا يؤمن بما سواها ..

نسأل الله تعالى أن يوفقنا الى الايمان ، وأن ينصرنا على أعداء الاسلام ليعود مجد أمتنـا كما كان .. انه سميع قريب مجيب .

القدس تتحدى دولة العصابات

نشرت مجلة الهدف الكويتية تحت هذا العنوان مقالا جاء فيه :

بعد البطولات التى أخفتها النكسة ورددتها وكالات الانباء والصحف العالمية وخاصة فى القدس وفى أماكن كثيرة دارت فيها أعنف المعارك وجها لوجه .. كان الارهاب .. والقتل الجماعى .. ونسف المنازل .. وتكرار « لدير ياسين » .. ومع كل هذا وغيره مما لا تستطيع الكلمات أن تعبر عنه .. كانت الصفعة الشديدة التى وجهها الشعب فى القدس وفى الضفة الغربية .. وغزة .. وغير ذلك من المناطق .. هذه الصفعة التى تمثلت فى المعارضة العلنية لكل ما تقوم به دولة العصابات فى هذه المناطق — رغم قسوة الارهاب — ..

لقد انهالت الاعتراضات المكتوبة تعلن أن القدس عربية وستظل عربية مهما تآمرت قوى البغى واستمرت فى التنكيل .. وكانت هناك اعتراضات أخرى .. كانت الالغام التى تنهك قوى العدو فى مختلف الاماكن .. وكان الاضراب الاخير .. الذى أفقد العصابات الصهيونية رشدها .. ونبهها فى نفس الوقت .. انه اذا كانت هناك لا مبالاة بقرارات الامم المتحدة الخاصة بشأن القدس .. فان على أرض القدس نفسها ستكون القرارات الحاسمة التى تقضى على وهم الصهاينة وأعداء الحرية والسلام ..

لقد حاولت العصابات الصهيونية أن تتصرف حتى فى المناهج التعليمية التى تدرس فى الضفة الغربية .. ولكن الصوت القوى جاء معبرا عن المشاعر العربية .. ومعارضا لهذا العمل الاجرامى .. فاعلن رجال التعليم فى محافظة القدس رفضهم تغيير المناهج الاردنية ووقوفهم ضد أى اجراء تتخذه سلطات الاحتلال الاسرائيلية لتعليم المواطنين العرب ما يمس قوميتهم وعروبة وطنهم .

هكذا كان صوت القدس العربية .. وهو نفس الصوت المنبعث من كل شبر احتلته العصابات الصهيونية .. ولن يخفت هذا الصوت الا بعد أن تخمد أصوات العصابات .. ومن وراء العصابات مهما اشتد ارهابهم وبطشهم .

نعمل ونبنى والله معنا

ومن مقال بهذا العنوان نشرته مجلة الشبان المسلمين القاهرية نقتطف الفقرات التالية :

نحن شعب مؤمن بالله ، الدين ركيزة من أعظم ركائز بنائه ، وهو سلاحنا اليوم فى مواجهة العدوان ، ان الدين يدعونا الى اليقظة ، والحذر من أساليب الاستعمار ومن الحرب النفسية ، على كل منا أن يكون واعيا فلا يردد الاشاعات وأن يحذر من المثبطات ولو كانت فى قالب فكاهة أو نكتة ، علينا أن نكون قادرين على احتمال مسئولياتنا كأفراد وكمجموع ، علينا الا نفقد الثقة فى انفسنا أولا ، ولا نيأس ، ان كياننا النفسى السليم هو سلاحنا الحقيقى فى المعركة ، لسنا أول من خسر معركة أو هزم فى معركة ، ولكن الأمم كلها عانت واستبسلت وقاومت ولم تستسلم حتى كتب لها النصر ، نحن لا نعرف التواكل ، شعب صلب له قيمه الأساسية والروحية والاجتماعية القادرة على أن تشد أزره ، لن تستطيع الحرب النفسية ، أن تثبط عزيمتنا ، أو تفقدنا الثقة بأنفسنا ، ان الازمات تجلى معادن الشعوب ، هذه الازمة أظهرت معدن شعبنا الاصيل أنه شعب حضارة ممتدة متصلة لم تنقطع ، وأنه شعب قادر على التضحية فى سبيل الحرية ، وفى سبيل تحقيق النصر ، وفى سبيل البناء ، وفى مواجهة العدوان ، وهو فى هذه المرحلة يعتصم بالقيم الدينية ويتمسك بها ويجد فيها مصدرا عظيما من مصادر القوة .

كل فرد مسئول أن يعمل ضد أهداف العدو ، كل أم ، كل عائلة ، كلنا سنعمل فى ظل النقاء والطهارة متمسكين بقيم الدين ومعتصمين بها .

والله عز وجل لا يخلف وعده للصادقين والمجاهدين والعاملين ، اننا حين نستعين بالله نكون قادرين على الشجاعة والصبر والصمود ، ولن يخلف الله وعده للمعتصمين به ، ولن يسلمهم الى المحنة طويلا ، بل سيحقق لهم النصر ، سنكون مع الله ونعمل ، وما دمنـا قد عقدنا العزم على النصر ، فانه جل وعلا ، يفتح الطريق أمامنا اذا استطعنا أن نضع انفسنا على طريقه القويم .

سنعمل ونبنى والله معنا يرعى جهادنا حتى نحقق النصر .

دور الصحافة العربية فى المرحلة الحاضرة

وطالعتنا مجلة الطليعة الكويتية بمقال تحت هذا العنوان جاء فيه :

ليس من شك أن المرحلة الراهنة التى يجتازها شعبنا العربى هى من أخطر مراحل الحياة التى قد يعرض لها شعب من الشعوب .

وبانتظار انعقاد مؤتمر الصحافيين العرب نطرح النقاط التالية :

ـ على الصحافة العربية أن تحدد بوضوح دورها فى المعركة وأن تلتزم باداء هذا الدور .

ـ واجب الصحافة العربيـــة قيادة الجماهير وتوعيتها وليس المزايدة على هـــذه الجماهير فى التهويل والمبالغة بالامور .

ـ ما تكتبه الصحافة العربية يجب أن يتصف بالوضوح والتخصيص لا بالابهام والتعميم .

ـ على الصحافة العربية أن تضع بين فترة وأخرى تقييما للدور الذى تؤديه لترى أين هى من أهداف الأمة وأمانيها ، ماذا استطاعت تحقيقه وما بقى أمامها لتحققه وهذا التقييم يجب أن يكون صادقا وأمينا ولن يتم ذلك الا عن طريق ممارسة النقد والنقد الذاتى فى عملية مكاشفة صريحة للنفس.

ـ ان التنسيق بين الصحافة ووسائل الاعلام العربية الاخرى أمر هام يجب خلقه والمحافظة عليه.

ان الصهيونية العالمية تمتلك ٣٥٤ صحيفة فى الولايات المتحدة و١٨ فى كندا و١٥٨ فى البلدان الاوروبية بالاضافة الى سيطرتها على العديد من مراكز الاعلام والثقافة الامريكية والاوروبية ، وكل هذه الوسائل الاعلامية مسخرة الى أبعد الحدود لخدمة مطامع الصهيونية والاستعمار ولتحطيم قدرتنا على مقاومة العدوان واظهار العرب أمام الرأى العام العالمى بمظهر المعتدين أعداء السلام .

وأمام هذا الحشد الاعلامى الهائل سوف تتساقط أجهزتنا الاعلامية وصحافتنا ان هى لم تتصد بواقعية ووضوح لهذه الحرب النفسية العنيفة الموجهه ضد شعبنا وذلك على كافة الجبهات العربية منها والخارجية ، وكذلك لا بد من أن تنتقل صحافتنا من موقع الدفاع الى مواقع الهجوم على هذه القوى وذلك لن يتحقق الا بوحدة العمل الصحفى والاعلامى العربى القائم على الدرس والتخصيص والوضوح. وان أملنا كبير أن نرى مؤتمرا للصحافيين العرب يعقد سريعا للبدء فعلا بعمل ايجابى موحد.

كلمـــة الايمان

ومن الكلمة الافتتاحية لمجلة الايمان المغربية نختار الفقرة التالية :

انه لا يكفى أن نقول اننا أمة مسلمة لتنطبق علينا حقيقة الاسلام ، ولكنا سنكون أمة اسلامية اذا ما طبقنا المنهج الاسلامى فى حياتنا وسلوكنا ونظرتنا الى الانسان والكون والمجتمع والحياة .

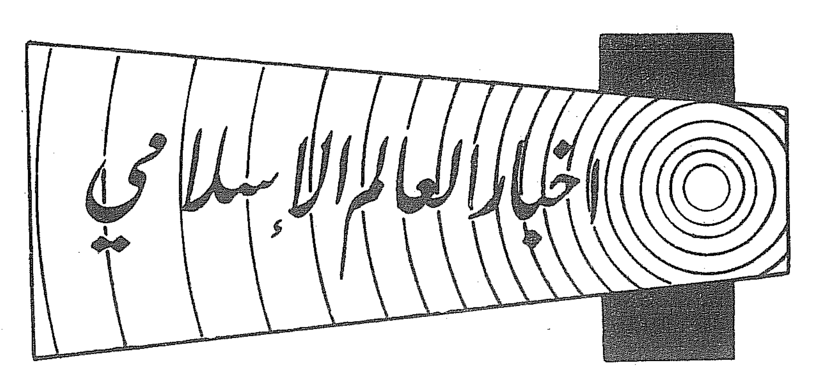
وهذا التطبيق لحقيقة الاسلام فى حياتنا سيجعلنا وجها لوجه أمام هذه الحضارة الغربيـــة التى أخذت بتلابيبنا واستحوذت على تصوراتنا ، وصيرتنا عبيدا لها فى تفكيرنا وبنائنا وتصوراتنا ، فعشنا فى تناقض واضطراب ، نريد التقدم فى المسير ، ولكن التعثر يصيب خطواتنا فنجد انفسنا وكاننا نسير الى وراء .

فالتصور الواضح للأهداف والقيم وشكل الحياة ، هو الذى يساعد على تخطيط معالم الطريق ، وهذا التخطيط هو الذى يجمع الرأى ويوحد الصف وينير الطريق ويحقق الاهداف ويضمن السير دائما الى الامام .

وتطبيق المنهج الاسلامى فى حياتنا هو الذى سيحفظنا من غارة المغائرين ، ودس الدساسين ، وكيدالكائدين .

تطبيق المنهج الاسلامى هو الذى سيجعلنا أمة محترمة الجـــانب ، مهيبة الكرامة ، فارضة الوجود ، مؤدية رسالتها فى الحياة . هذه الرسالة التى لا تتنكر لكل جديد ولا ترفض أى تطور ، ولا تقف دون تطبيق أية رسالة حضارية ، ولكنها تابى التنكر للقيم العليا والانكار لرسالات السماء .

فاذا تصورنا أهدافنا واضحة ، واذا ما خططنا معالم طريقنا على أساس اسلامى صحيح ، فهناك سنكون قد قمنا ببعض الواجب علينا وصرنا لطبع اصلاحاتنابطابع فلسفتنا فنحدث ثورة اجتماعية صحيحة لا تخضع لتفكير الجامدين والمتاخرين ولا تطيش مع المنزلقين المنحرفين ، ثورة تعمل على خلق جيل جديد يتخلق بالاخلاق الاسلامية المثلى ويفهم الاسلام فهما صحيحا ، يستضىء قلبه بنور الايمان ويهتدي عقله بهدى العلم الصحيح ، يعمل لدنياه كانه يعيش أبدا ، ويعمل لآخرته كانه يموت غدا .



الكويت

- أعلن سمو ولي العهد ورئيس الوزراء « اننا لن نحيد عن موقفنا بوقف ضخ النفط وسنفى بواجباتنا كاملة مهما بلغت التضحيات » .
- زار جلالة الملك حسين وسيادة الرئيس عبد الرحمن عارف البلاد من أجل توحيد الصف لازالة آثار العدوان الاسرائيلي وذلك فى جولة يزوران فيها بعض الدول العربية .
- خصصت وزارة التربية عددا من المنح الدراسية الجامعية والثانوية للطلاب الفلسطينيين .
- ساهمت الكويت بمبلغ (١٠٢٥٠٠) دولار لجعل اللغة العربية لغة عمل فى منظمة اليونسكو .
- قدم الصندوق الكويتى للتنمية قرضا للسودان قيمته (٥٫٠٧٠٫٠٠٠) دينارا كويتيا .
- وفد اسلامى برياسة الدكتور محمد ناصر رئيس الوزراء الاسبق فى اندونيسيا زار الكويت .
- تبدأ الدراسة فى جامعة الكويت باضافة كليتين جديدتين هما : الشريعة والقانون ، والسياسة والاقتصاد .

الجمهورية العربية المتحدة

- فى نطاق ازالة آثار العدوان الصهيونى على العرب وبحث مشكلة فلسطين زار البلاد الرئيس اليوغوسلافى تيتو وقد زار دمشق وبغداد .
- ستعقد الجامعة العربية دورة خاصة بمحو الأمية وتعليم الكبار فى البلاد العربية فى الفترة بين ٢٣ — ٢٩ سبتمبر الحالى .
- قررت الجامعة العربية تشغيل خريجى الجامعات من أبناء فلسطين فى مختلف الدول العربية كما قررت حكومة المتحدة منح كل طالب فلسطينى مبلغ عشرة جنيهات وسكنا مناسبا ، وثلاثة جنيهات لمن يقيمون فى المدن الجامعية .
- قام سكان مدينة العريش — شمالى سيناء — باضراب عام ومظاهرات تحد للسلطات الاسرائيلية رفعوا فيها العلم العربى على بيوت المدينة ومنشآتها . وفرض منع التجول مع القبض على بعض الاشخاص .

السعودية

- زار الامير سلطان بن عبد العزيز وزير الدفاع والطيران باكستان للتباحث مع المسئولين فى أمر تطوير الجيش السعودى ومده بالخبرات الفنية والعسكرية .
- قدم السيد محمد العدسانى سفير الكويت الجديد في السعودية أوراق اعتماده الى جلالة الملك فيصل .
- زار جلالة الملك حسين والسيد محمد أحمد محجوب البلاد وقد أجريا مع جلالة الملك فيصل محادثات هامة بشأن قضية اليمن .

العراق

- عقد فى ١٥ أغسطس الماضى مؤتمر وزراء المال والاقتصاد والبترول العرب لبحث مشروع العراق لتوجيه الاقتصاد العربى لازالة آثار العدوان وقد أصدر عدة توصيات لعرضها على مؤتمر وزراء الخارجية الثانى تمهيدا لعقد مؤتمر القمة فى الخرطوم .
- صادرت العراق جميع ممتلكات جامعة الحكمة الامريكية فى بغداد بعد أن كشفت نشاطا هداما

لعدد من الامريكيين العاملين بها .

- رفض وزير النفط العراقى الاحتجاج الذى تقدمت به شركات النفط الاجنبية على القانون الخاص بمناطق الاستثمار لشركة النفط العراقية .
- قررت العراق والمتحدة الاكتفاء بالهوية الشخصية فى التنقلات بين البلدين وذلك بعد الغاء الجمارك بينهما ..

السـودان

- عقد مؤتمر وزراء الخارجية الثانى فى ٢٦ أغسطس لبحث توصيات مؤتمر وزراء المال والاقتصاد .
- وافقت اللجنة القومية للدستور على اقتراح بتحريم النشاط الشيوعى فى السودان .
- اعلن السيد اسماعيل الازهرى أن العرب لا يمكن أن يتعايشوا مع اسرائيل وانهم باتحادهم سيدحرون العدوان .
- تسلم ثلاثون خبيرا عربيا فى شئون الطيران عملهم فى السودان بعد استغنائها عن جميع الخبراء الانجليز .
- ذكرت الصحف أن حكومة السودان اكتشفت وجود صلة بين الملحق العسكرى الاثيوبى فى الخرطوم وبين وكالة المخابرات الامريكية فى محاولتها لقلب نظام الحكم فى السودان !!!

الأردن

- قام جلالة الملك حسين بجولة فى ثمان دول عربية واسلامية هى : الكويت ، ايران ، السعودية ، السودان ، ليبيا ، تونس ، والمغرب ، ولبنان .
- تشتد المقاومة لسلطات الاحتلال الاسرائيلية فى الضفة الغربية وقد رفض المعلمون المساس بنظم التعليم الاردنية أو تعليم التلاميذ شيئا يمس الشخصية العربية .
- بدا النازحون من الضفة الغربية بالعودة الى ديارهم وقد قبلت اسرائيل منهم عددا ضئيلا ولم تقبل منهم الشبان .
- زار الرئيس العراقى عبد الرحمن عارف الاردن وقد أجرى مباحثات هامة مع جلالة الملك حسين .
- وقع العراق والاردن اتفاقا لتوسيع التبادل التجارى ورفع القيود الجمركية بين البلدين .

سـوريا

- زار الرئيس العراقى عبد الرحمن عارف سوريا ضمن اللقاءات العربية لازالة آثار العدوان .
- أعلن الدكتور ابراهيم ماخوس نائب رئيس الوزراء ووزير الخارجية أن العرب يرفضون أى مشروع يربط بين سحب القوات الاسرائيلية وفكرة انهاء الحرب أو الصلح مع اسرائيل .

أخبـار متفرقة

- قام الرئيس أيوب خان بزيارة الى الاتحاد السوفيتى هذا الشهر وبحث مع الزعماء السوفيت نتائج الازمة الاخيرة في قضية فلسطين كما سيزور فرنسا للغرض نفسه .
- أكد بير زاده وزير خارجية باكستان فى بيروت أن باكستان ستعمل بما يقترحه العرب لازالة آثار العدوان الاسرائيلى وقال نحن مع الوحدة العربية والتضامن الاسلامي لانقاذ القدس .
- طالب الرئيس بومدين كل البلاد العربية بتطبيق نظام التدريب الشامل وقال ان ما حدث فى ٥ يونيه يمكن أن يحدث للجزائر .
- اتفق على تجميد نشاط قاعدة هويلس الامريكية فى حالة الطوارىء فى المنطقة العربية !
- أعرب مؤتمر من ١٢ منظمة اندونيسية عن استعداده للسفر الى الجبهة وطالب باعلان الجهاد المقدس لتحرير فلسطين .
- الصومال : حضر وزير الدفاع الصومالى — كمراقب — جزءا من اجتماعات مؤتمر وزراء الخارجية العرب الذى انعقد فى الخرطوم وقال ان الرئيس الصومالى على استعداد لحضور مؤتمر القمة .

☆☆☆

- اثيوبيـا : تشترك أثيوبيا فى حملة التبرعات التى تجرى لصالح اسرائيل وقد شحنت ما يزيد على (١٥) الف بقرة كتبرع منها لمساعدة اسرائيل .
- الهنـد : صرح متحدث رسمي بان أي حل لقضية فلسطين يقوم على اشتراط الاعتراف باسرائيل سيفشل لانه لن يكون واقعيا .

اقرأ في هذا العدد :

((الى راغبى الاشتراك))

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك فى المجلة . ورغبة منا فى تسهيل الامر عليهم ، وتفاديا لضياع المجلة فى البريد ، راينا عدم قبول الاشتراكات عندنا من الان ، وعلى الراغبين فى الاشتراك ان يتعاملوا راسا مع متعهد التوزيع عندهم ، وهذا بيان بالمتعهدين ،

القاهرة : شركة توزيع الاخبار ـ ٧ شارع الصحافة

مكة المكرمة : مكتبة الثقافة للصحافة . ص ب ١٤٦

المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء ـ السيد محمد زين العابدين ضياء

الرياض : مكتبة المدينة ـ ص ب ١٩ ـ السيد احمد باصريح

الطائف : مكتبة الثقافة للصحافة ـ عمارة ابن الملوح ـ ص ب ٢٢

جده : مكتبة الصلاح العالمية ـ عمارة البنك الاهلى ص ب ٦٣٥

بغداد : مكتبة المثنى ـ السيد قاسم محمد الرجب

الخبر : مكتبة النجاح الثقافية ـ ص ب ٧٦ ـ السيد محمد سعيد بابيضان

البحرين : المكتبة الوطنية وفروعها ـ المنامة ـ السيد فاروق ابراهيم عبيد

قطر : مكتبة العروبة ص.ب : ٥٢

عدن : وكالة الاهرام التجارية ـ السيد محمد قائد محمد

المكلا : ص ب ٢٨ ـ حضرموت ـ مكتبة الشعب المحدودة

دبى : ساحل عمان ـ ص ب ٢٦١ ـ السيد عبد الله حسن الرستمانى

مسقط : المكتبة الاهلية ص ب ١٥٧

عمان والقدس : وكالة التوزيع الاردنية ـ السيد رجا العيسى

دمشق : الشركة العامة للمطبوعات ص ب : ٢٣٦٦

بيروت : الشركة العربية للتوزيع ص ب ٤٢٢٨

السودان : ـ الخرطوم ـ السيد حسن نجيله ص ب ٤٢٤

بور سودان : السيد عطا المنان . مكتبة كردى ص ب : ٣٠٣

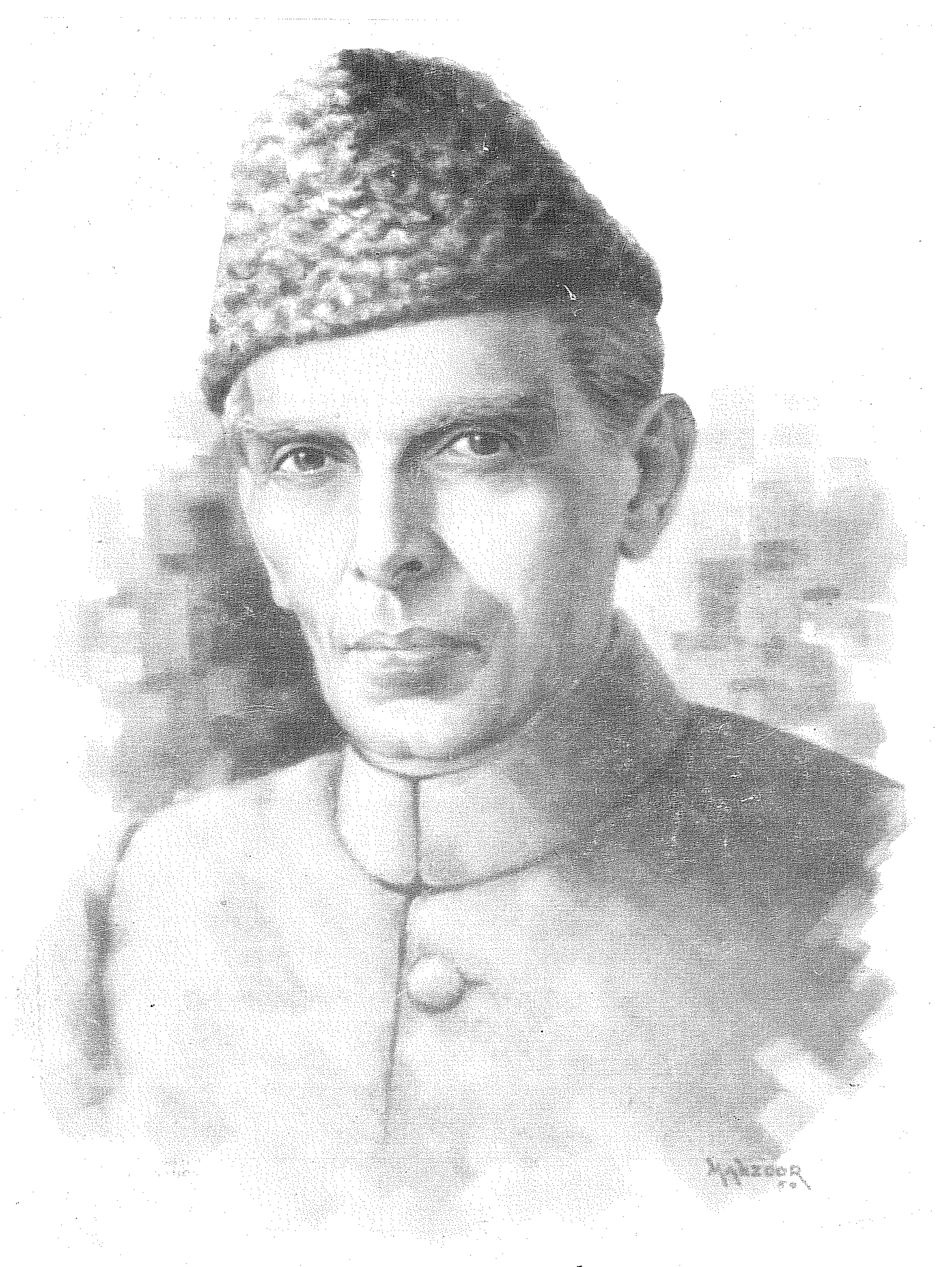
مراكش : الدار البيضاء ـ مكتبة الوحدة العربية ـ السيد احمد عيسى

ليبيا : طرابلس الغرب ص ب ١٣٢ ـ السيد محمد بشير الفرجانى

بنغازى : مكتبة الوحدة العربية ص ب ٢٨٠ ـ السيد الشمالى الخراز

الكويت : مكتب منار للتوزيع ٢١ شارع فهد السالم ص ب : ١٥٧١

ونوجه النظر الى انه لا يوجد لدينا الان نسخ من الاعداد السابقة من المجلة



القائــد الأعظم محمد على جُنَّهْ
مؤسس باكستان
بمناسبة ذكرى استقلالها فى أغسطس المــاضى

مطابع مؤسسة فهد المرزوق الصحفية ـ الكويت